تحلیل فنّی علی عینیّـة أبی ذؤیب الهذلی

فیروز حریرچی
الأستاذ فی اللغـة العربیّـة و آدابها بجامعـة طهران
ناصر حسینی
طالب مرحلـة الدکتوراة فی اللغـة العربیّـة و آدابها بالجامعـة الحرّة الإسلامیّـة فرع علوم و تحقیقات طهران

تاریخ دریافت: ۱۳۹۰/۵/۱۷ تاریخ پذیرش: ۱۳۹۰/۵/۲۳

الملخص

هذه الدراسة التی وقعت بین أیدی القارىء الکریم دراسة علی عینیّة أبی ذؤیب الهذلی. و الدارسـان یهتمّان علی تقدیم نبذة محقّقة من حیاة الشاعر، و علی ضبط الأبیات، و إعراب الکلمات، و اقتناء الأصحّ فی الترتیب و الحرکات. و یُبیّنان مناسبة القصیدة و یُحلّلان المضمون و الأسلوب لکی تبرز مکانة هـذه القصیدة الخالدة الشهیرة بین عیون المراثی و أغرّ القصائد.

هذا المقال الذی یکون نقداً تحلیلیاً یدرس الجانب المعنوی و اللفظی فی القصیدة، و یُفکّک الأجـزاء، و یُفصّل اللوحات الموجودة، و یذکر معالم الجمال فی کلّ لوحة، و یُبیّن الرسالة التی أنشـدت لأجـلـهـا القصیدة، کما لایُهمل نقد وحدة الموضوع و عناصر الجمال و الصور البیانیّة و المحسنات البدیعیّة. و کمـا یُتوقّع من عنوان الدراسة لم نغصّ الطرف من عیوب القصیدة و هناتها فی اللفظ و المعنی. نرجو أن نکون المصیبین علی الخیر المنشود.

الکلمات الدلیلیة: أبو ذؤیب، العینیّة، الرثاء، النقد و التحلیل، الصور، المعنی.

Archive of SID
www.SID.ir

المدخل

أشهر المراثی فی تاریخ الأدب العربی هذه القصیدة لأبی ذؤیب الهذلی التی اشتهرت و ذاعت صیتها فی الآفاق بالعینیّة. و هذه المرثیة التی أنشدها الشاعر فی رثاء أولاده تکون أبرز القصائد فی دیوانه علی وجه الإطلاق. و للحصول علی أهمیّة الأثر نقول إنّه لم یبق أدیب إلّا روی منها، و لا کاتب إلّا استشهد بشیء من أبیاتها.ااا و أبیات هذه القصیدة المبکیة الحزینة شواهد أمثال للکتب البلاغیّة و النحویّة فی أطوار الأدب العربی، و علی حدّ قول شوقی ضیف لعلّ أباً لم یبلغ من التعبیر عن لوعته بفقد أبنائه ما بلغه أبوذؤیب فی بکائه لبنیه الذین اختطفهم الموت، و فی بیانه للتحسّر و التألّم. (شوقی ضیف، ۲۰۰۰م، ص۱۷)

هذه القصیدة ذروة الشعر و کماله. و جدیر بالذکر أنّ هذه الشهرة علّتها الصدق فی الإحساس، و اللطف فی الشعور، و الدقّة فی بیان الحزن، و من هنا أنّ الترغیب أو أخذ العطیّة لیس بباعث إنشادها فلم تسرّب فیها الضعف و الفتور و المبالغة و الإغراق.

و الشاعر فی هذه القصیدة یتخطّی نطاق الذات الفردی المحصور. و ینشد المرثیة للبشریّة برمّتها، فالمرثیة تعبیر عن مأساة الکائن الحیّ، و الشاعر یعدّ مأساته فی ضمن المآسی و الملمّات التی تصیب الإنسان. فإن کان قلبه ممزّقاً بموت فلذات کبده فهو لاینسی أنّ الموت مصیر محتوم لکلّ انسان بل لکلّ کائن حیّ، فینشد أنشودة فی الحزن و الأسی علی لسان کلّ إنسان لکی یتسلّوا بها فی الدهر. هذه القصیدة تضرّع کلّ الوری من قسوة الموت.

و نحن فی هذا المقال بصدد تقدیم تحلیل فنّی و دراسة شاملة علی کلّ جوانب القصیدة المعنویّة و اللفظیّة، و إبراز نقد مُتّصف بالعدل و الإنصاف لتبیین مکانة هذا الأثر الخالد الثمین فی الأدب العربی المبین الذی أصبح لسان حال کلّ حزین فی کلّ مأتم، و نرجو أن نکون علی سبیل الرشاد فی هذا المضمار.

حیاة الشاعر

هو خُوَیلد بن خالد بن مُحَرِّث الهُذلی من قبیلة هُذَیْل بن مدرکة من قوم مضر بن نزار

www.SID.ir

(أبوالفرج الإصفهانی، ۲۰۰۲م: ص ۷۶۴). ما لنا علم على تاريخ ولادته بالضبط، ولكن ذكر فی كتب تأريخ الأدب العربی أنّه وافته المنيّة فی شبابه حوالی سنة ۲۸ هـ. ق /۶۴۸ م (حنّا الفاخوری، ۱۴۲۷ هـ.ق: ص۴۱۵). و أبوذؤيب من مخضرمی الجاهليّة و الإسلام، و هو راوی أشعار ساعدة بن جوية من شعراء هذيل المشهورين (خليل أبو ذياب، ۲۰۰۰ م: ص ۹۰) و أبوذؤيب من المخضرمين أدرک الجاهليّة و اعتنق للإسلام. و كان ملتزماً متعهداً فی دينه، و هو باعتراف النقّاد أشعر الهذليّين كما أنّ هذيل أشعر العرب. قال ابن سلّام الجمحی: «كان أبوذؤيب شاعراً فحلاً، لاغميزة فيه و لا وهن. قال أبو عمرو بن العلاء نقلاً عن حسّان بن ثابت: أشعر الناس حيّاً هذيل، و أشعر هذيل غير مدافع أبو ذؤيب». (محمّد بن المبارک، ۱۹۹۹م، ج ۹: ص۱۲۱) و أبو ذؤيب فی طبقات ابن سلّام أحد شعراء الطبقة الثالثة مع نابغة بنی جعدة و الشّماخ و لبيد.

و أبو ذؤيب من الذين هاجروا إلى مصر فی زمن الخليفة الثانی، فلمّا وصل مصر فی نفر توفّی بها. تفيد بعض الروايات أنّ الشاعر خرج مع عبدالله بن زبير لغزوة بمغرب بلاد الإسلام و استشهد فيها و دفّنه ابن زبير بيديه. قال أبو عمرو الشيبانی: «ودّع أبو ذؤيب الحياة فی طريقه إلى إفريقيّة غازياً». (الخطيب التبريزی، ۱۴۲۳ هـ.ق: ص۱۶۸۲)

مناسبة القصيدة

هناک روايتان فی المناسبة التی قيلت فيها القصيدة، إحداهما تشير إلى أنّه كان له الأبناء الخمسة أصابهم الطاعون فماتوا فی عامّ واحد و هذه رواية المفضّل الضبّی الذی يقول: «فی هذه القصيدة يبكی أبوذؤيب بنيه الخمسة الذين قتلهم الطاعون إبّان عام واحد، و كانوا قد بلغوا مبلغ الشباب راحوا يسعون فی مناكب الأرض، و كانوا بمصر حين أدركهم الوباء و لم يمهلهم» (المفضّل الضبّی، ۱۹۲۰ م: ص ۸۴۹). و فی رواية أخرى نجدها فی ديوان الهذليين تذكر أنّه له سبعة بنين شربوا من لبن شربت منه حيّة ثمّ ماتت فيه فهلكوا فی يوم واحد (أنيس بدوی، حمد و طمّاس، ۱۴۳۰ هـ.ق: ص۱۹۹). و إن كانت الروايتان متّفقين فی الفاجعة إلّا

Archive of SID

www.SID.ir

أنّ فيهما اختلافاً فی عدد البنين و سبب الوفاة و مدّتها. و يمكن ترجيح إحدى الروايتين و هی الأولی لأنّها من رواية المضّل الضبّی الذی جاء بهذه المرثية فی مختاراته «المُفضّليّات» و لأنّه رواية ثقة يتسنّی لنا الاطمئنان إلی روايته.

تخريج القصيدة

جاءت هذه القصيدة كاملة أو ناقصة فی كتب الأدب مثل «شرح المفضّليّات، ص ۸۴۹»، «ديوان الهذليّين، ج۱، صص ۲۱-۱»، «الإستيعاب، ج۴، ص ۶۷»، «العقد الفريد، ج۳، ص ۲۵۳». و أشيرت إلی بعض أبياتها فی هذه المصادر: «الأغانی»، «السمط»، «بلوغ الأرب»، «عيون الأخبار»، «البيان و التبيين»، «الشعر و الشعراء»، «المعانی الكبير»، «الفاخر»، «حماسة البحتری»، «ديوان المعانی»، «الإصابة»، «معاهد التنصيص»، «حماسة المرزوقی».

رواة القصيدة

قد روی القصيدة أبو زيد القرشی فی «جمهرة أشعار العرب»، و الأصمعی فی «الأصمعيّات»، و المفضّل الضبّی فی «المفضّليّات»، الثعالبی فی «المنتخب فی محاسن أشعار العرب» و أيضا رواها أبو عبيدة المثنی و مؤلف كتاب «ديوان الهذليّين».

نصّ القصيدة

و هناک نروی القصيدة علی رواية المفضّل الضبّی:

أ مِنَ المَنونِ وَ ريبِها تَتَوَجَّعُ وَ الدَّهرُ لَيْسَ بِمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ
قالَتْ أُمَيمَةُ ما لِجِسْمِکَ شَاحِباً مُنْذُ ابْتُذِلْتَ وَ مِثْلُ مالِکَ يَنْفَعُ
أمْ مَا لِجَنْبِکَ لايُلائِمُ مَضْجَعاً إلّا أَقَضَّ عَلَيکَ ذاکَ المَضْجَعُ
فَأَجَبْتُها أمّا لِجِسْمِیَ أَنَّهُ أَوْدَی بَنِیَّ مِنَ البِلادِ فَوَدَّعُوا

Archive of SID

www.SID.ir

أوْدَی بَنِیَّ وَ أعـقَـبـونـی غُصَّـةً ... بَعْدَ الرُّقادِ وَ عَـبْـرَةً لا تُـقْـلِـعُ
سَبَقُوا هَوَیَّ وَ أعْنَـقُـوا لِـهَـواهُـمُ ... فَتُخُرِّمُوا وَ لِکُلِّ جَـنْـبٍ مَصْـرَعُ
فَغَبَرْتُ بَعْدَهُمُ بِـعَـیْـشٍ نَـاصِـبٍ ... وَ إخَالُ أنّی لاحِـقٌ مُسـتَـتْـبَـعُ
وَ لَقَدْ حَرِصْتُ بِأنْ أدَافِـعَ عَـنْـهُـمُ ... فَإذا المَنِیَّةُ أقْـبَـلَـتْ لا تُـدْفَـعُ
وَ إذا المَنِیَّةُ أنشَـبَـتْ أظْـفَـارَهَـا ... أَلْفَیْتَ کُلَّ تَمِـیْـمَـةٍ لا تَـنْـفَـعُ
فَالعَیْنُ بَعْـدَهُـمُ کَـأنَّ حِـدَاقَـهـا ... سُمِلَت بِشَوکٍ فَهِیَ عُورٌ تَـدْمَـعُ
حَتّی کَـأنّـی لِـلْـحَـوادِثِ مَـرْوَةٌ ... بِصَفَا المُشَرَّقِ کُلَّ یَـوْمٍ تُـقْـرَعُ
وَ تَجَلُّدی لِلـشَّـامِـتِـیـنَ أُرِیْـهِـمُ ... أنّی لَرَیْبِ الدَّهْرِ لا أتَضَـعْـضَـعُ
وَ النَّفْسُ راغِـبَـةٌ إذا رَغَّـبْـتَـهَـا ... فَإذَا تُرَدُّ إلَـی قَـلِـیْـلٍ تَـقْـنَـعُ
وَ الدَّهْرُ لا یَبْقَی عَـلَـی حَـدَثَـانِـهِ ... جَوْنُ السَّراةِ لَـهُ جَـدائِـدُ أرْبَـعُ
صَخِبُ الشَّـوارِبِ لایَـزَالُ کَـأنَّـهُ ... عَبْدٌ لِآلِ أبِـی رَبِـیْـعَـةَ مُسْـبَـعُ
أکَلَ الجَمِیْمَ وَ طاوَعَتْـهُ سَـمْـحَـجٌ ... مِثْلُ الْقَنَاةِ وَ أزْعَـلَـتْـهُ الأمْـرُعُ
بِقَرارِ قِـیْـعَـانٍ سَـقَـاهَـا وَابِـلٌ ... واهٍ فَأثْجَـمَ بُـرْهَـةً لا یُـقْـلِـعُ
فَلَبِثْنَ حِیْنَاً یَـعْـتَـلِـجْـنَ بِـرَوْضَـةٍ ... فَیَجِدُّ حِیْنَاً فِی العِلاجِ وَ یَشْـمَـعُ
حَتَّی إذا جَـزَرَتْ مِـیَـاهُ رُزُونِـهِ ... وَ بِأیِّ حِیْـنٍ مِـلاوَةٍ تَـتَـقَـطَّـعُ
ذَکَرَ الوُرودَ بِهَا وَ شَـاقَـنِی أمْـرَهُ ... شُؤْمٌ وَ أقْبَلَ حَـیْـنُـهُ یَـتَـتَـبَّـعُ
فَافتَنَّهُـنَّ مِـن السَّـواءِ وَ مَـاؤُهُ ... بَثْرٌ وَ عَـانَـدَهُ طَـرِیْـقٌ مَـهْـیَـعُ
فَکَأنَّهَا بِـالْـجِـزْعِ بَـیْـنَ یُـنَـابِـعٍ ... وَ أوْلَاتِ ذِی الْعَرْجَاءِ نَهْبٌ مُجْمَـعُ
وَ کَـأنَّـهُـنَّ رِبَـابَـةٌ وَ کَـأنَّـهُ ... یَسَرٌ یُفِیْضُ عَلَی الْقِدَاحِ وَ یَصْـدَعُ
وَ کَأنَّما هُـوَ مِـدْوَسٌ مُـتَـقَـلِّـبٌ ... فِی الْکَفِّ إلّا أنَّـهُ هُـوَ أضْـلَـعُ
فَوَرَدْنَ وَ العَیُّوقُ مَقْعَدَ رَابِیءِ الضُّـ ... ـرَبَاءِ فَوقَ النَّظْـمِ لا یَـتَـتَـلَّـعُ
فَشَرَعْنَ فِی حَجَرَاتِ عَـذْبٍ بَـارِدٍ ... حَصِبِ البِطَاحِ تَغِیبُ فِیهِ الأکُـرُعُ
فَشَرِبْنَ ثُمَّ سَـمِـعْـنَ حِسَّـاً دُونَـهُ ... شَرَفُ الحِجَابِ وَ رَیْبَ قَرْعٍ یُقْرَعُ

Archive of SID

www.SID.ir

وَ نَمِيْمَةً مِنْ قَانِصٍ مُتَلَبِّبٍ فِي كَفِّهِ جَشْءٌ أَجَشُّ وَ أَقْطَعُ
فَنَكِرْنَهُ فَنَفَرْنَ وَ اِمْتَرَسَتْ بِهِ سَطْعَاءُ هَادِيَةٌ وَ هَادٍ جُرْشُعُ
فَرَمَى فَأَنْفَذَ مِنْ نَجُودٍ عَائِطٍ سَهْمَاً فَخَرَّ وَ رِيْشُهُ مُتَصَمِّعُ
فَبَدَا لَهُ أَقْرَابُ هَذَا رَائِغاً عَجِلاً فَعَيَّثَ فِي الْكِنَانَةِ يُرْجِعُ
فَرَمَى فَأَلْحَقَ صَاعِدِيّاً مِطْحَراً بِالْكَشْحِ فَاشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ الأَضْلُعُ
فَأَبَدَّهُنَّ حُتُوفَهُنَّ فَهَارِبٌ بِذَمَائِهِ أَوْ بَارِكٌ مُتَجَعْجِعُ
يَعْثُرْنَ فِي حَدِّ الظُّبَاتِ كَأَنَّمَا كُسِيَتْ بُرُوْدَ بَنِي يَزِيدَ الأَذْرُعُ
وَ الدَّهْرُ لا يَبْقَى عَلَى حَدَثَانِهِ شَبَبٌ أَفَزَّتْهُ الْكِلَابُ مُرَوَّعُ
شَعَفَ الْكِلَابُ الضَّارِيَاتُ فُؤَادَهُ فَإِذا يَرَى الْصُّبْحَ المُصَدَّقَ يَفْزَعُ
وَ يَعُوذُ بِالأَرْطَى إِذَا مَا شَفَّهُ قَطْرٌ وَ رَاحَتْهُ بَلِيْلٌ زَعْزَعُ
يَرْمِي بِعَيْنَيْهِ الْغُيُوبَ وَ طَرْفُهُ مُغْضٍ يُصَدِّقُ طَرْفُهُ مَا يَسْمَعُ
فَغَدَا يُشَرِّقُ مَتْنَهُ فَبَدَا لَهُ أُوْلَى سَوَابِقِهَا قَرِيْبَاً تُوْزَعُ
فَاهْتَاجَ مِنْ فَزَعٍ وَ سَدَّ فُرُوْجَهُ غُبْرٌ ضَوَارٍ وَافِيَانِ وَ أَجْدَعُ
يَنْهَشْنَهُ وَ يَذُبُّهُنَّ وَ يَحْتَمِي عَبْلُ الشَّوَى بِالطُّرَّتَيْنِ مُوَلَّعُ
فَنَحَا لَهَا بِمُذَلَّقَيْنِ كَأَنَّمَا بِهِمَا مِنَ النَّضْحِ المُجَدَّحِ أَيْدَعُ
فَكَأَنَّ سَفُودَيْنِ لَمَّا يُقْتَرَا عَجِلَا لَهُ بِشَوَاءِ شَرْبٍ يُنْزَعُ
فَصَرَعْنَهُ تَحْتَ الْغُبَارِ وَ جَنْبُهُ مُتَتَرِّبٌ وَ لِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعُ
حَتّى إِذَا اِرْتَدَّتْ وَ أَقْصَدَ عُصْبَةً مِنْهَا وَ قَامَ شَرِيْدُهَا يَتَضَرَّعُ
فَبَدَا لَهُ رَبُّ الكِلَابِ بِكَفِّهِ بِيْضٌ رِهافٌ رِيْشُهُنَّ مُقَزَّعُ
فَرَمَى لِيُنْقِذَ فَرَّهَا فَهَوَى لَهُ سَهْمٌ فَأَنْفَذَ طُرَّتَيْهِ الْمِنْزَعُ
فَكَبَا كَمَا يَكْبُو فَنِيْقٌ تَارِزٌ بِالْخَبْتِ إِلّا أَنَّهُ هُوَ أَبْرَعُ
وَ الدَّهْرُ لا يَبْقَى عَلَى حَدَثَانِهِ مُسْتَشْعِرٌ حَلَقَ الْحَدِيدِ مُقَنَّعُ
حَمِيَتْ عَلَيْهِ الدِّرْعُ حَتَّى وَجْهُهُ مِنْ حَرِّهَا يَوْمَ الكَرِيْهَةِ أَسْفَعُ

Archive of SID

www.SID.ir

تَعدُو بِهِ خَوْصَاءُ يَفْصِمُ جَرْيُـهـا حَلَقَ الرِّحَالَةِ فَهِیَ رِخْـوٌ تَـمْـزَعُ
قَصَرَ الصَّبُوحَ لَهَا فَشَرَّجَ لَحْمَـهَـا بِالنَّیِّ فَهِیَ تَئُوخُ فِيهَـا الإِصْـبَـعُ
مُتَفَلِّقٌ أَنْسَـاؤُهَـا عَـنْ قَـانِـیٍ كَالْقُرْطِ صَاوٍ غُـبْـرُهُ لايُـرْضَـعُ
تَأْبَى بِدُرَّتِهَا إِذَا مَا اِسْتُغْـضِـبَـتْ إِلّا الْحَمِـيـمَ فَـإِنَّـهُ يَـتَـبَـضَّـعُ
بَيْنَا تَعَنُّقِهِ الْـكُـمَـاةَ وَ رَوْغِـهِ يَوْمَاً أُتِيْحَ لَـهُ جَـرِیءٌ سَـلْـفَـعُ
يَعْدُو بِهِ نَهْشُ الْمُـشَـاشِ كَـأَنّـهُ صَدَعٌ سَلِيْمٌ رَجْـعُـهُ لايَـظْـلَـعُ
فَتَنَادَيَا وَ تَوَاقَفَتْ خَـيْـلَـاهُـمَـا وَ كِلَاهُمَا بَطَلُ الـلِّـقَـاءِ مُـخَـدَّعُ
مُتَحَامِيَيْنِ الْمَـجْـدَ كُـلٌّ وَاثِـقٌ بِبَلَائِهِ وَ الْـيَـومُ يَـوْمٌ أَشْـنَـعُ
وَ عَلَيهِمَا مَسْرُوْدَتَانِ قَضَـاهُـمَـا دَاوودٌ أَوْ صَنَعُ السَّـوابِـغِ تُـبَّـعُ
وَ كِلَاهُمَا فِـی كَـفِّـهِ يَـزَنِـيَّـةٌ فِيهَا سِنَانٌ كَـالْـمَـنَـارَةِ أَصْـلَـعُ
وَ كِلَاهُمَا مُـتَـوَشِّـحٌ ذَا رَوْنَـقٍ عَضْبَاً إِذَا مَسَّ الضَّرِيبَةَ يَـقْـطَـعُ
فَتَخَالَسَا نَفْسَـيْـهِـمَـا بِـنَـوَافِـذٍ كَنَوَافِذِ الْعُبُطِ الَّـتِـی لَـا تُـرْقَـعُ
وَ كِلَاهُمَا قَدْ عَاشَ عِيْشَةَ مَاجِـدٍ وَ جَنَى الْعَلَاءَ لَـوْ أَنَّ شَيْئَاً يَنْفَـعُ

تحليل المعنى

يَقُولُ الشّاعِرُ: أ مِنَ المَنَايَا وَ حَوَادِثِهَا تَتَوَجَّعُ فِی حَالَةِ أَنَّ الدَّهْرَ لا يَهْتَمُّ بِمَنْ يَحْزُنُ عَلَـی هَالِكٍ لَهُ وَ هُوَ لَيْسَ بِمُرَاجِعٍ عَلَی الإِنْسَانِ بِمَا يَرْضِی وَ يُحِبُّ، و الحُزْنُ لا يَلِيْنُ قَلْبَ الدَّهْـرِ فَلا نَفْعَ فِی الأَسَی فَعَلَی الإِنْسَانِ أَنْ لا يَتَشَكَّی، و أَنْكَرَتْ أُمَيْمَةُ زَوْجَةُ الشَّاعِرِ تَغَـيُّـرَ لَـوْنِ أَبِیذُؤَيْبٍ وَ هُزَالَ جِسْمِهِ وَ تَقولُ: مَا لِی أَرَاكَ شَاحِبَ اللَّوْنِ ضَامِرَ الجِسْمِ مُنْذُ ابْتَذَلْتَ نَفْسَكَ و امْتَهَنْتَهَا فِی الأَسْفَارِ و الأَعْمَالِ، بَعْدَ أَنْ مَاتَ مَنْ كَانَ يَكْفِيْكَ ضَيْعَتَكَ مِنْ بَنِيْكَ، وَ تَشْتَرِی بِمَالِكَ مَنْ يَكْفِيْكَ ضَيْعَتَكَ وَ يَقُومَ بِمِهْنَتِكَ فَاتَّخِذْ مَنْ يَكْفِيْكَ، وَ أَقِمْ مُوَدِّعَاً لِنَفْسِكَ، كَأَنَّهَـا إِعْتَقَدَتْ أَنَّ مَا تَرَاهُ مِنْ هُزَالِهِ هُوَ لِتَرْكِهِ النَّعِيْمَ وَ لَذَّاتِ الحَيَاةِ بَلْ مَا لِجِسْمِكَ لا يُوَافِقُ مَضْجَعَاً إِلَّا صَارَ المَضْجَعُ تَحْتَ جَنْبِكَ مِثْلَ قَضِيضِ الحِجَارَةِ، كَأَنَّ تَحْتَ جَنْبِكَ حَصًی يَمْنَعُكَ النَّوْمَ، حَتَّی نَبَا جِسْمُكَ عَنْهُ، وَ سَهِرْتَ لَهُ.

Archive of SID

www.SID.ir

يقولُ الشّاعِرُ: فَأجَبْتُهَا عَلَى تَسَاؤُلِهَا وَ قُلْتُ لَهَا: إنَّ مَا حَلَّ بِجَسَدِی مِنْ هُـزَالٍ وَ سُـوءِ الحَالِ بِسَبَبِ فُقْدَانِی لأوْلادِی الَّذِينَ مَاتُوا وَ بَادُوا عَنْ كُلِّ البِلادِ، وَ مَوْتُهُم كَانَ آخِرَ عَهْـدِهِـم بِی وَ عَهْدِی بِهِم وَ هذَا الأمْرُ كَوِدَاعٍ مُرٍّ مِنْهُم.

لَقَدْ مَاتَ أبْنَائی و أخْلَفُونِی غُصَّةً و حَسْرَةً بَعْدَ نَوْمِ النَّاسِ بِاللَّيْلِ وَ فَرَحِهِم بِـالـيَـوْمِ وَ وَرَّثُونِی دَمْعَةً لا تَكُفُّ عَنْ النُّزُولِ و لا تَجفُّ أبَداً، فَسَبَقُونِی إلَى المَوْتِ، وَ كُنْتُ أُحِـبُّ أنْ أمُوتَ قَبْلَهُم، فَيَبْقَوا بَعْدِی، لَكِنَّهُم أُخِذُوا مِنِّی وَاحِداً وَاحِداً وَ تَخَرَّمَتْهُم المَنِيَّةُ وَ كُـلُّ إنْسَـانٍ سَيَمُوتُ. وَ كَانَ هَوَى الأبِ أنْ يُقِيمَ الأبْنَاءُ مَعَه، وَلَكِنْ إعْتَنَقُوا لِمَذْهَبِ المَوْتِ بَقَـيْـتُ بَـعْـدَ مَوتِهِم بِعَيْشٍ ذُو تَعَبٍ و شِدَّةٍ و أظُنُّ ظَنّاً يَقِينِيّاً أنِّی لاحِقٌ بِهِم فِی عَاجِلِ الأيَّامِ وَ آجِلِهَـا. و قَدْ كَانَ مِنِّی حِرْصٌ شَدِيْدٌ عَلَى دَفْعِ الشَّرِّ و المَوْتِ مِنْ أبْنَائی، فَفَاجَأتْ المَنِيَّةُ مُقْبِلَةً و لا يُرَدُّ وَجْهُهَا و لا يَقْدِرُ أحَدٌ عَلَى دَفْعِ المَنِيَّةِ إذَا أقْبَلَتْ. وَ إنَّ الإنْسَانَ يُوَاجِهُ المَوْتَ، وَ أيَّـةُ قُـوَّةٍ طَارِئَةٍ عَلَى النَّفْسِ لِمُوَاجَهَةِ المَوْتِ هِیَ قُوَّةٌ فَاشِلَةٌ، و إنْ كَانَتْ تِلْكَ القُوَّةُ حَقِيْقِيَّةً مِثْلَ قُـوَّةِ الأبِ الحَرِيْصِ عَلَى أبْنَائِهِ. و إذا أعْلَقَ المَوْتُ مَخَالِبَهُ فِی صَيْدِهِ، لِيَجْتَذِبَ بِهِ و يَذْهَـبَ بِـهِ، وَجَدْتَ كُلَّ حِيَلٍ وَ قُوَّةٍ لا تَنْفَعُ و ألْفَيْتَ أنَّ الغَلَبَةَ لِلمَوتِ.

بَعدَ أنْ فَقَدْتُ أبْنَائی تَبَادَرَتْ دُمُوعِی بِالإنْهِمَارِ بُكَاءً عَلَيْهِم. وَ كَأنَّ عَيْنِی فُقِئَتْ بِحَـدِيـدَةِ مَحْمَاةٍ، فَهِیَ عَمِيَتْ بِآفَةِ البُكَاءِ فَتَسِيلُ. و إنَّنِی صِرْتُ مُطَافاً لِلمَصَائِبِ و الحَوَادِثِ تَعْـرُونِـی، فَأنَا تَحْتَ وَطْأةِ الحَوَادِثِ بِمَنْزِلَةِ تِلْكَ المَرْوَةِ الّتِی يَقْرَعُهَا مُرُورُ النَّاسِ بِهَا فِی صَفَا المُشَـرَّقِ فِی مَوْسِمِ الحَجِّ بِمَكَّةَ فِی كُلِّ حَيْنٍ و إنَّنِی لا يَكْسِرُنِی مَمَرُّ المَصَائِبِ بِی.

يُبَيِّنُ الشَّاعِرُ بِحِكْمَةٍ حَكِيْمَةٍ سَبِيْلَ الحُصُولِ عَلَى الإقْتِدَارِ البَشَرِیِّ و السَّبِيلُ هُو تَرْوِيْـضُ النَّفْسِ و كَبْحِ جِمَاحِ أهوَائِهَا، فَمِنْ خِلالِ ذَلِكَ تُمْكِنُ السَّيْطَرَةُ عَلَى جَمِيْعِ قُوَى الإنْسَـانِ و تَوْجِيْهَهَا الوَجْهَةَ المُبْتَغَاةَ. و يَقولُ: النَّفْسُ تَسْمُو إذَا سَمَوتَ بِهَا و رَغَّبْتَهَا فِی كَثْرَةِ المَالِ و أنَّ رَغْبَةَ النَّفْسِ فِی الأُمُورِ بِحَسَبِ بَسْطِكَ لَهَا، و إذَا مَنَعْتَهَا، قَنِعَتْ و صَبَرَتْ.

يَسْتَطْرِدُ الحِكْمَةَ فِی قَصِيْدَتِهِ بِشَأنِ حَتْمِيَّةِ المَوْتِ و عَدَمِ سَلامَةِ النَّاسِ مِن المَوْتِ قَرِيْـبـاً أو بَعِيْداً و لابُدَّ مِن الهَلاكِ مُقِيْماً أو مَسَافِراً فَعَلَى الإنْسَانِ أنْ يَنْتَظِرَ أ بِأرْضِ قَومِـهِ أمْ فِـی

Archive of SID

www.SID.ir

غُرْبَة يَمُوتُ. و يَقولُ: لَقَد أرَى أنَّ البُكَاءَ و العَوِيْلَ سَفَاهَةٌ وَ لا يُغْنِيَان عَنْ شَيءٍ و لا فَائِدَةَ فِيْهِما وَ لَسوفَ يُغْرَى بالبُكَاءِ مَنْ يُوْجَعُ. وَ إنَّه مَا مِنْ مَحْزُونٍ إلَّا وَ تَكْوِيهِ نِيْرَانُ الأسَى ذَاتَ يَوم. إنَّ أيَّامَ البَلاءِ قَادِمَةٌ، و لا مَهْرَبَ لأحَدٍ مِنْهَا، و لابُدَّ لِلإنْسَانِ مِن القَنَاعَة بِقَضَاءِ الله شَاءَ أمْ أبَى و لَيَأتِي يَوْمٌ عَلَى البَاكِي، يُبْكَى عَلَيْهِ فِي حَالَة يُلَفُّ بِالأكْفَانِ، لا يُرَى وَ لا يُسْمَعُ. إنَّ المَوْتَ سَيَقِعُ بِهِ النَّاسُ جَمِيعاً و لا سَلامَةَ لأحَدٍ مِن المَوْتِ.

يَقولُ: إنْ أوْجَعَ الزَّمَانُ و حَوَادِثُه بالنَّاسِ فِي أقَارِبِهِم فَأنَا مُفُجَّعٌ وَ مَوْجَعٌ بِأوْلادِي، و ألَمُ الكَارِثَة عِنْدِي أشَدُّ. فَكَمْ مِن قَوْمٍ مُجْتَمِعِ الشَّمْلِ مُتَمَاسِكِ القُوَى كَانُوا يَعِيْشُونَ بسَعَادَة عَامِرَة قَبْلَ أيَّامِنَا فَتَفَرَّقُوا بِقَهْرِ الفِرَاقِ الأبَدِيِّ وَ تَصَدَّعَتْ لَيَالِيُ أُنْسِهِم. إستَخدَمَ الشَّاعِرُ فِي كَلامِهِ تَمْثِيْلاً جَميلاً و يَتَذَكَّرُ: إن كَانَ الدَّهْرُ قَدْ أسَاءَ إلَيَّ و فَجَعَنِي بِهَلاكِ بَنِيَّ، فَمِنْ عَادَاتِهِ أنَّه لا يَسْلَمُ مِنْ نَوَائِبِهِ شَيْءٌ، و لا عَيْرٌ أسْوَدُ الظَّهْرِ، لَهُ أُتُنٌ أرْبَعُ، قَدْ جَفَّتْ أَلبَانُهَا و المَقْصُودُ: أنَّ الوَحْشَ فِي تَبَاعُدِهَا عَنْ كَثِيْرٍ مِنْ الآفَاتِ، و عَلَى نِفَارِهَا الشَّدِيدِ و حِذَارِهَا، لا يَتَخَلَّصُ مِنْ قَبْضَة المَوْتِ.

قَدْ مَثَّلَ الشَّاعِرُ قِصَّةَ الإنْسَانِ مَعَ المَوْتِ فِي مَشْهَدٍ حِسِّيٍّ «فَجَمِيْعُ الشَّمْلِ» سَيَتَمَثَّلُ فِي حِمَارِ الوَحْشِ مَعَ أتَانِهِ، و «مُلتَئِمُ القُوَى» سَيَتَمَثَّلُ فِي ثَوْرِ الوَحْشِ، و «الصَّيَّادُ» سَيَتَمَثَّلُ فِي المَوْتِ، و «الكِلابُ» سَيَتَمَثَّلُ فِي المُشْكِلاتِ، و «حِمَارُ الوُحْشِ» سَيَتَمَثَّلُ فِي سِنِّ الشَّبَابِ، وَ «ثَوْرُ الوَحْشِ» سَيَتَمَثَّلُ فِي سِنِّ الشَّيخُوخَة. فِي هذَا المَشْهَدِ أبُوذُؤيب يَصِفُ مَشْهَدَ هَلاكِ الحِمَارِ الوَحْشِيِّ قَائلاً: هذَا الحِمَارُ كَثِيْرُ النَّهِيْقِ وَ يُرَدِّدُ نُهَاقَهُ فِي حَلْقِهِ، و كَأنَّه عَبْدٌ لآلِ أبِي‌رَبِيْعَةَ مُهْمَلٌ مَعَ السِّبَاعِ شَبِيْهٌ بِالسَّبُعِ فِي خُبْثِ أخْلاقِهِ أوْ عَبْدٌ وَقَعَ السَّبُعُ فِي غَنَمِه، فَهُو يَصِيْحُ.

يَسْتَطْرِدُ وَصْفَ الحِمَارِ قَائلاً: رَعَى هَذَا الحِمَارُ الوَحْشُ لِنَبَاتِ الرَّبِيْعِ المُلْتِفِّ، و طَاوَعَتْهُ أتَانٌ طَوِيْلَةٌ، وَ نَشَّطَهُ مَكَانٌ مُرِيْعٌ مُخْصِبٌ. يَصِفُ ذَلِكَ المَرْعَى و يَقولُ: نَشَّطَتِ العَيْرَ مُسَاعَدَةُ الخِصب لَه فِي مَرْعًى بِقَاعٍ مِنَ الأرْضِ الطَّيِّبَة الطِّيْنِ، يَسْتَقِرُّ المَاءُ فِيْهِ، مِمَّا سَقَاهُ المَطَرُ، وَ دَامَ بُرْهَةً مِنَ الدَّهْرِ لا يُقْلِعُ وَ لا يَجِفُّ. و الأُتُنُ بَقِيْنَ مُدَّةَ إجْتِزَائِهِنَّ بَالرُّطْبِ عَنِ المَاءِ، و يَعَضُّ

Archive of SID

www.SID.ir

بَعْضُهُنَّ بَعْضاً و يُعَارِضْنَ وَ يُلاعِبْنَ بِرَوْضَةِ العَيْرِ لِفَرْطِ فَرَحِهِنَّ، فَهَذَا العَيْرُ، فِي مُزَاوَلَةِ الأُتُنِ و مُغَالَبَتِهِنَّ يَذْهَبُ مِنَ الجِدِّ و الهَزْلِ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ. يَجِدُّ تَارَةً و يَلْعَبُ تَارَةً أُخْرَى. لَبِثْنَ مَعَهُ إِلَى أَنْ نَقَصَتْ مِيَاهُ المَنَاقِعِ بِهَذَا الرَّوْضَةِ، إِنْقَطَعَتْ هَذِهِ المِيَاهُ عَنِ الحَمِيْرِ فِي شِدَّةِ الحَرِّ حِيْنَ لا يَصْبِرْنَ عَنِ المَاءِ و تَنْقَطِعُ الرُّزُونُ. ذَكَرَ العَيْرُ الوُرُودَ بِالأُتُنِ نَحْوَ العُيُونِ، لِعِلْمِهِ بِعَطَشِهَا. فَغَالَبَ الشُّؤمُ أَمْرَهُ فِي الشَّقَاءِ، وَ أَقْبَلَ يَتَتَبَّعُ آثَارَ الهَلاكِ، لِمَا أُرْصِدَ لَهُ مِنْ مَكَايِدِ القَنَّاصِ، كَأَنَّه يُحِسُّ فِي الوُرُودِ بِالشَّرِّ. فَرَّقَ العَيْرُ الأُتُنَ وَ طَرَدَهُنَّ ضُرُوباً مِنْ أَنْوَاعِ الطَّرْدِ مِنْ رَأسِ الحَرَّةِ وَ مَاؤُه، وَ عَارَضَهُ طَرِيْقٌ بَيِّنٌ واضِحٌ. كَأَنَّ العَيْرَ و الأُتُنَ وَ هُوَ يَطْرُدُهَا و نَحَا بِهَا نَحْوَ الوِرْدِ بِالجِزْعِ بَيْنَ نُبَايِعٍ، وَ بِالمَوَاضِعِ المُتَّصِلَةِ بِذِي العَرْجَاءِ، إِبِلٌ انتُهِبَتْ. و كَأَنَّ الأُتُنَ سِهَامٌ يَجِيْلُهَا العَيْرُ كَيْفَ شَاءَ وَ يَدْفَعُهَا كَمَا يَدْفَعُ اليَاسِرُ بِالسِّهَامِ. وَ إِنَّ العَيْرَ مُحْكَمُ الخَلْقِ، وَ هُوَ فِي صَلابَتِهِ لِسِمَنِهِ كَمِسَنِّ الصَّيْقَلِ المُتَقَلِّبِ بِالكَفِّ لِيَكُونَ أَشَدَّ مَلاسَةً بِكَثْرَةِ المُمَارَسَةِ، بَلْ إِنَّ هَذَا العَيْرَ أَعْظَمُ صَلابَةً.

الحُمُرُ وَرَدْنَ المَاءَ فِي صَمِيمِ الحَرِّ فِي نِهَايَةِ اللَّيْلِ فِي وَقْتٍ تَمِيْلُ الثُّرَيَّا لِلغُرُوبِ قَرِيْباً كَقُرْبِ الرَّقِيْبِ مِنْ ضَارِبِ القِدَاحِ و هِيَ فَوْقَ نَظْمِ الجَوْزَاءِ لا يَرْتَفِعُ و لا يَتَقَدَّمُ عَلَيْهَا. و شَرَعْنَ بِمَدِّهِنَّ أَعْنَاقَهُنَّ لِيَشْرَبْنَ مِنْ أَطْرَافِ مَاءٍ عَذْبٍ بَارِدٍ فِي بَطْنِ وَادٍ عَلَى حَصْبَاءَ وَ أَكْرُعُهُنَّ تَغِيبُ فِي هَذَا الوَادِي. و شَرِبْنَ مِنَ المَاءِ العَذْبِ ثُمَّ سَمِعْنَ صَوْتَاً رَابَهُنَّ مِنْ قَرْعِ قَوْسٍ وَ صَوتِ وَتَرٍ. و سَمِعْنَ نَمِيْمَةً مِنْ صَيَّادٍ مُتَحَزِّمٍ مُتَقَلِّدٍ كِنَانَتَهُ وَ فِي يَدِهِ قَوْسٌ خَفِيْفَةٌ غَلِيْظَةُ الصَّوتِ وَ نِصَالٌ عَرِيْضَةٌ. فَنَكِرَتْ الحُمُرُ صَوْتَ الصَّائِدِ و نَفَرْنَ مِنْهُ وَ لَزِمَتْ العَيْرَ أَتَانٌ طَوِيْلَةُ العُنُقِ. و هُوَ يُسَاوِيْهَا فِي التَّقَدُّمِ و الغِلْظَةِ وَ لَزِمَ العَيْرُ أَيضاً بِالأَتَانِ. و لَمَّا أَسْكَنَتِ الحُمُرُ مِنْ نَفْسِهَا رَمَاهَا الصَّائِدُ، فَأَنْفَذَ سَهْمَهُ فِي جَنْبِ أَتَانٍ طَوِيْلَةٍ سَمِيْنَةٍ غَيْرِ حَامِلٍ لأَعْوَامٍ، فَسَقَطَ السَّهْمُ لِخُرُوجِهِ مِنْ جَنْبِ الأَتَانِ، وَقَدْ تَلاصَقَتْ قُذَذُهُ بِالدَّمِ المُخْتَلِطِ بِهِ. فَظَهَرَتْ لِلصَّائِدِ خَوَاصِرُ هَذَا العَيْرِ حِيْنَ رَاغَ وَ عَدَلَ فَدَخَلَ الصَّائِدُ يَدَهُ فِي الكِنَانَةِ فَأَخَذَ مِنْهَا سَهْمَاً وَ رَمَاه بِهِ، وَ كَرَّرَ هَذَا العَمَلَ وَ طَلَبَ أَنْ يَرْمِيَ ثَانِيَاً بِسَهْمٍ آخَرَ.

رَمَى الصَّائِدُ سَهْمَاً بَعِيْدَ الذَّهَابِ وَ إِنَّمَا رَمَى الكَشْحَ لِحِذْقِهِ بِالرَّمْيِ لأَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ

Archive of SID

www.SID.ir

الجَوْفِ عَظْمٌ يَرُدُّ السَّهْمَ فَاشْتَمَلَتِ الضُّلُوعُ عَلَى السَّهْمِ. وَ تَغَيَّبَ فِيهَا السَّهْمُ. قَسَّمَ الصَّائِدُ الحُتُوفَ بَيْنَهُنَّ وَ أَعْطَى كُلَّ واحِدٍ مِنْهُنَّ حَتْفَه فَالحُمُرُ بَيْنَ هَارِبٍ بَبَقِيَّةِ نَفسِهِ وَ حُشَاشَتِهَا وَ بَيْنَ بَارِكٍ سَاقِطٍ أَرْضَاً. الحَمِيْرُ تَغْثُرُ فِی حَدِّ الظُّبَاتِ مِنْ كَثْرَتِهِنَّ وَ السَّهَامُ فِيْهِنَّ: وَ أَذْرُعُهَا مِمَّا سَالَتْ من الدِّمَاءِ عَلَيْهَا كَأَنَّهَا كُسِيَتْ بُرُوداً يَمَانِيَةً حُمْرَاً.

و لا يَبْقَى عَلَى حَدَثَانِ الدَّهْرِ ثَوْرٌ مُسِنٌّ مُرَوَّعٌ كَثِيْرُ التَّجْرِبَةِ و الحَذَرِ الَّذِی طَرَدَتْه الكِلابُ، ذَهَبَتْ بِفُؤَادِهِ فَإِذَا دَخَلَ الصُّبْحَ وَ رَأَى ضِيَاءَهُ خَافَ لأَنَّ الصُّيَّادَ يُبَاكِرُونَه بالكِلابِ عِنْدَ الصُّبْحِ الصَّادِقِ. و يَلْجَأُ الثَّوْرُ إِلَى الأَرْطَى لِيَمْتَنِعَ بِهَا إِذَا آذَاهُ المَطَرُ و أَصَابَتْهُ رِيْحٌ بَارِدَةٌ شَدِيْدَةٌ الّتی تُحَرِّكُ كُلَّ شَیْءٍ مِنَ الأَشْجَارِ و الأَبْنِيَةِ. و يَرْمِی بِعَيْنَيْهِ نَحْوَ المَوَاضِعِ الَّتِی تَغِيْبُ عَنْ إِدْرَاكِهَا بالعَيْنِ، وَ يَتَوَجَّسُ بِأُذُنِهِ فِی أَثْنَاءِ نَظَرِهِ، لِيُقَابِلَ بِمَا تَحْذَرُ مِنْهُ العَيْنُ مَا يُدْرِكُهُ بالأُذُنِ، فَيُغْضِی عِنْدَ ذَلِكَ طَرْفَهُ. وَ يَنْظُرُ إِلَى الغُيُوبِ خَوْفَاً أَنْ يَأْتِيَهُ مِنْهَا مَا يَخَافُ وَ لَهُ إِغْضَاءٌ فِيْمَا بَيْنَ نَظَرِهِ وَقْتَاً بَعْدَ وَقْتٍ وَ إِذَا سَمِعَ شَيْئَاً رَمَى بِبَصَرِهِ، فَصَارَ ذَلِكَ تَصْدِيقَاً لَه. صَارَ يُظْهِرُ ظَهْرَهُ لِلشَّمْسِ لِيَذْهَبَ مَا عَلَيْهِ مِنَ المَطَرِ و نَدَى اللَّيْلِ، وَ ظَهَرَ لَهُ سَوَابِقُ الكِلابِ.

فَثَارَ وَ ارْتَاعَ مِن الخَوْفِ وَ سَدَّ كِلابٌ غَبْرَةُ اللَّوْنِ فُرُوجَهُ وَ دَخَلْنَ بَيْنَ قَوَائِمِهِ وَ إِثْنَانِ مِنَ الكِلابِ سَالِمَا الأُذُنَيْنِ وَ أُخْرَى أَجْدَعُ مَقْطُوعُ الأُذُنِ. أَقْدَمَتِ الكِلابُ عَلَى الثَّورِ يَعْضَضْنَه وَ يَرَدْنَ تَنَاوُلَ لَحْمِهِ و هوَ يَطْرُدُهُنَّ وَ يَمْنَعُهُنَّ عَنْ نَفْسِهِ وَ هُو غَلِيْظُ القَوَائِمِ مُخْتَلِطُ اللَّوْنَيْنِ تَحَرَّفَ الثَّوْرُ لِلكِلابِ لِيَطْعَنَهَا بأَشَدَّ مَا يَكُونُ بالقَرْنَيْنِ المُحَدَّدَيْنِ، وَ هوَ يُحَرِّكُ قَرْنَه فِی أَجْوَافِهَا فَلِذَلِكَ تَلَطَّخَا بالدَّمِ. فَكَأَنَّ قَرنَيْهِ دَمُ الأَخوَينِ أو الزَّعْفَرَانُ.

أو كَأَنَّ قَرْنَيْهِ و هُمَا تُسِيلانِ بالدَّمِ. سَفُّودَا شَرْبٍ، نُزِعَا قَبْلَ أَنْ يُدرِكَ الشِّوَاءُ. صَرَعَتْ الكِلابُ الثَّوْرَ تَحْتَ الغُبَارِ، قَتَلَ الثَّوْرُ جَمَاعَةً مِنَ الكِلابِ، فَتَرْتَدُّ كَمَا يَرْتَدُّ السَّيْفُ عَنِ الضَّرِيبَةِ، وَ مَا بَقِیَ مِنْها قَامَ يَعْوِی مِنْ هَجْمَةِ الثَّوْرِ وَ يَصِيحُ. فَظَهَرَ لِلثَّورِ صَاحِبُ الكِلابِ وَ دَنَا مِنْه وَ بِيَدِهِ سِهَامٌ نِصَالُهُنَّ رِقَاقٌ مُرْهَفَةٌ، ذَاتُ بَيَاضٍ وَ بَرِيْقٍ، رِيْشُهُنَّ مُنَتَّفٌ وَ مُخَفَّفٌ مِنْ كَثْرَةِ مَا رُمِیَ بِهِ. فَرَمَاهُ الصَّائِدُ لِيَشْغَلَه عَنْهَا و لِيُنْقِذَ البَقِيَّةَ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَهْمٌ، فَسَقَطَ الثَّوْرُ لِوَجْهِهِ لَمَّا رَمَاهُ الصَّائِدُ كَمَا يَسْقُطُ فَحْلُ الإِبِلِ المَيِّتِ مِنْ سَاعَتِهِ بِأَرْضٍ مُطْمَئِنَّةٍ غَيْرَ أَنَّ هذِهِ

Archive of SID

www.SID.ir

الصُّورَةُ أَتَمُّ و أَكْمَلُ. وَ كُلُّ حَيٍّ تَرَى يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ يَمُوتُ آجِلاً أو عَاجِلاً.

لا يَبْقَى عَلَى حَدَثَانِ الدَّهْرِ أَحَدٌ حَتَّى فَارِسٌ شَاكُّ السِّلاحِ الَّذِي يَلْبَسُ حَلَقَ الدُّرُوعِ كَالشِّعَارِ المِغْفَرَ الحَدِيْدِيَّ كَالقِنَاعِ. و لا يَتْرُكُ حَمْلَ السِّلاحِ، فَهوَ لِبَاسُه فِي يَوْمِ الْكَرِيْهَةِ، فَتَحْمَى الدِّرْعُ عَلَيْهِ حَتَّى تُغَيِّرَ وَجْهَه إِلَى اللَّوْنِ الأَسْوَدِ و تَعْدُو بِهَذَا الفَارِسِ الشَّاكِّ السِّلاحِ فَرَسٌ غَائِرَةُ العَيْنِ مِرْخَاءُ سَهْلَةُ الجَرْى مُطِيعَةٌ لِرَاكِبِهَا فِي المَرِّ الخَفِيْفِ، فَرَسٌ إِذَا جَرَتْ كَسَرَتْ حَلَقَ الرِّحَالَةِ. و تَفَلَّقَتْ فَخِذَاه بِلَحْمَتَيْنِ غَلَيْظَتَيْنِ وَ يَجْرِي النَّسَا بَيْنَهُمَا وَ يَسْتَبِيْنُ كَأَنَّهُ حَيَّةٌ، مَعَ ضَرْعٍ قَانِىءٍ يَابِسٍ ذَاوٍ بِلا لَبَنٍ كَطَرَفِ الفِتِيْلَةِ المُحْتَرِقِ فِي سَوَادِهِ وَ صِغَرِهِ. حَيْنَمَا اسْتُكْرِهَتْ هَذِهِ الفَرَسُ تَأْبَى مِنَ اللَّبَنِ و الجَرْى السَّرِيْعِ إِلَّا العَرَقَ فَإِنَّهَا تَتَنَدَّى. و يُقَالُ: الفَرَسُ الجَوَادُ إِذَا حَرَّكْتَهُ أَعْطَاكَ مَا عِنْدَهُ و إِذَا حَمِلْتَه عَلَى أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ وَ حَرَّكْتَه بِسَوْطٍ أو رِجْلٍ، حَمَلَتْهُ عِزَّةُ نَفْسِهِ عَلَى تَرْكِ العَدْوِ و الأَخْذِ فِي المَرَحِ.

حِيْنَ يُقَاتِلُ هَذَا المُسْتَشْعِرُ الشُّجْعَانَ قُدِّرَ لَه رَجُلٌ مِقْدَامٌ جَرِىءُ الصَّدْرِ، يَعْدُو بِهَذَا الشُّجَاعِ المُسْتَشْعِرِ فَرَسٌ خَفِيْفُ العِظَامِ وَ القَوَائِمِ فِي العَدْوِ كَأَنَّهُ وَحْشٌ مُتَوَسِّطُ الجِسْمِ سَلِيْمٌ سَرِيْعُ اليَدَيْنِ فِي الجَرِى لا يُدْرِكُه الغَمِيْزُ و العَيْبُ. فَتَنَادِيَا لِلنِّزَالِ، وَ كِلاهُمَا مِنَ الشُّجْعَانِ الأَبْطَالِ المُجَرَّبِيْنَ، فِي الحَرْبِ. فِي حَالَةِ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَحْمِي المَجْدَ لِنَفْسِهِ يَطْلُبُ أَنْ يَغْلِبَ فَيُذْكَرَ بِالغَلَبَةِ، وَ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ مِن نَفْسِهِ بَلاءً حَسَناً فِيْمَا قَد تَقَدَّمَ مِنْه مِنَ اللِّقَاءِ، وَ كُلَّ مِنْهَا مُقْتَدِرٌ فِي نَفْسِهِ وَ اليَوْمُ يَوْمٌ كَرِيْهُ المَسْمَعِ و المَنْظَرِ.

وَ عَلَى هَذَا الرَّجُلَيْنِ دِرْعَانِ أَحْكَمَهُمَا دَاوُودُ عَلَيْهِ السَّلامُ الَّذِي سُخِّرَ لَهُ الحَدِيْدُ أو فَرَغَ مِنْهُمَا تُبَّعُ مَلِكُ حِمْيَرَ. وَ فِي كَفِّهِمَا رُمْحٌ يَزَنِيٌّ، و فِي رَأْسِ هَذَا الرُّمْحِ حَرْبَةٌ حَدِيدِيَّةٌ لا صَدَأَ عَلَيْهَا تَبْرُقُ كَالسِّرَاجِ السَّاطِعِ. وَ كِلاهُمَا تَقَلَّدَ سَيْفاً ذَا بَرِيْقٍ قَاطِعاً إِذَا وَقَعَ عَلَى شَىءٍ يَقْطَعُه. كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا يَخْتَلِسُ نَفْسَ صَاحِبِه بِطَعْنَةٍ نَافِذَةٍ تُنْشِىءُ نَوَافِذَ كَنَوَافِذِ ثَوْبٍ كَثُرَ خَرْقُه فَلا يُصْلَحُ بِالرِّقَاعِ و الرُّفُوِ. لَو أَنَّ شَيئاً يَنْفَعُ مِنَ المَوتِ وَ يُنْجِي مِنْهُ لَنَفَعَ هَذَينِ الرَّجُلَيْنِ مَا نَالا مِنَ العَيْشِ و الشَّجَاعَةِ و البُطُولَةِ الشَّرَفِ وَلكنْ لا يَدْفَعُ المَوتَ دَافِعٌ مِنْ سُؤدَدٍ وَ شَرَفٍ وَ رُجُولَةٍ.

Archive of SID

www.SID.ir

قيمة القصيدة

تعدّ هذه المرثية عيناً من عيون المراثی فی الأدب العربی، و هی من القصائد المشهورات بحسنها و روعتها التی عبرت الآفاق، و ملكت النفوس، و سخّرت مكانة مرموقة شامخة فی عراص الشعر و رحاب الشعور فی طوال الدهور، و ربّما جاءت تلک الشهرة من أنّ العينيّة هی الآلام و الأشجان التی كان يعانی منها الشاعر، فهی حرقة القلب، و نفثة المصدور، و التهاب النار بين الضلوع، و سلسلة متواصلة من الدموع. و لا نجد فيها الإسفاف المطرود، و المبالغة غيرالمقبول فی تصوير الإحساس و الشعور فالشاعر يبكی على فلذات كبده، و هی كارثة صعب تصوّر وقعها على نفس الأب. لعلّ لم يبلغ أب شأو أبی ذؤيب فی التعبير عن لوعة فراق الأبناء و شدّة مأساة موتهم.

قيمة هذه المرثية الرائعة آتية من أنّها متفرّدة منقطعة النظير فی الشعر الجاهلی و الإسلامی. و لا نكاد نجد لها نظيراً فی فكرتها السامية و قدرتها على بيان مأساة الكائن الحیّ و للفكرة سمو، و للتأمّل عمق فی هذه المرثية. و الرثاء الفردی يتحوّل إلى التعمّق و التأمّل فی محنة الكائن الحی كلّه فی الوجود، فتتحوّل الأحزان الجيّاشة و الآلام المتجدّدة إلى حزن هادیءٍ دفين لا نكاد نتبينه، و تصبح القصيدة إلى عزاء و سلوى للبشرية بكاملها، بل لكلّ حیّ فی الوجود.

و يعلن الشاعر مراراً أنّ الدهر لايبقی على حدثانه أحد، و لكلّ جنب مصرع، و لا منجاة من الموت لأحد. و الإعراض عن المأساة الفرديّة، و تصوير أثرها فی أعماق الفرد إلى رثاء الكائن الحیّ بأجمعه فكرة رفيعة لانراها عند غير أبی ذؤيب. أبوذؤيب كأبی العلاء يبتعد عن الرثاء الشخصی المحدود و ينظر فی مأساة البشريّة. و يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمصير الإنسان المأساوی.

أجزاء القصيدة

مرثية أبی ذؤيب هذه تنقسم إلى القسمين و تتناول الفكرتين الأساسيتين: فی القسم الأوّل ينكر الشاعر التوجّع على نفسه من الموت و الدهر، و فی هذا القسم تمتزج تجربة الشاعر

Archive of SID

www.SID.ir

الذاتيّة مع تجربة البشريّة العامّة و جاءت فی طيّاته تلک المحاورة التی دارت بينه و بين زوجته متسائلة عن سبب حزنه و شحوب جسمه و قلّة نومه، ثمّ إخبارها عن سبب کلّ ذلک و هو فقد أبنائه. ثم جاء الشاعر بأبيات صبغتها الحکمة و الوعظ و العبرة و مغزاها أنّ الدهر لن يترضی الحزانی، و لن يمسح ما ينهمل من الدموع علی خدودهم، و لن يردّ حبّات قلوب الناس و هذا القسم يشتمل الأبيات من (۱ إلی ۱۳).

ثمّ يبتدأ القسم الثانی و هو فکرة الشاعر الأساسية الذی أراد أن يعبّر عنها فی هذه القصيدة و هی فکرة شموليّة الموت و مأساة الکائن الحیّ و مصيره المحتوم، و هذا القسم الثانی ينقسم بدوره إلی ثلاثة أقسام أو أفکار جزئية لتکون فی النهاية فکرته الکليّة. فکان القسم الأوّل مختصّ بحمار الوحش (الأبيات ۱۴ إلی ۳۴)، صوّر الشاعر فيها مصير الحمار الوحشی المحتوم متمثّلاً فی سهام الصائدين، و القسم الثانی خصّصه للثور الوحشی (الأبيات ۳۵ إلی ۴۷) حيث جعل مصيره کلاب الصائدين و سهامهم، ثمّ کان القسم الأخير و أخصّه للفرسان المستشعرين حلق الحديد المدجّجين المقنّعين (الأبيات ۴۸ إلی ۶۷) و هی خاتمة القصيدة صوّر الموت متربّصاً بهذين البطلين فجعل موتهما فی طعنة نافذة يوجّهها کلّ منهما إلی صدر قرينه. و کلّ هذه الأقسام حلقة من حلقات الفکرة الکلية. و الحدّ الفاصل بين الحلقات هی عبارة: «والدَّهْرُ لا يَبْقَی عَلَی حَدَثَانِهِ».

نقد المضمون

وقع الشاعر فی موقف نفسی فکری حرج، و هذا الوقع الشديد أرغمه علی إنکار ذلک الحزن الذی يتمزّق قلبه و لا جدوی فی الحزن و البکاء لأنّهما لايردّان هالکاً. ولکن فی المصراع الثانی من المطلع يعترف بحتميّة الموت کناموس الحياة، قائلاً:

أ مِنَ المَنُونِ وَ رَيْبِهَا تَتَوَجَّعُ وَ الدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتِبٍ مِنْ يَجْزَعُ

و فی البيت الثانی يظهر أبوذؤيب شاحباً لونه، ناحلاً جسمه، زاهداً عن الدنيا و ملذّاتها، فعينه باکية و مضجعه خشن، و همّه وبيل، و نومه قليل، و حزنه کثير. و ينقاد لمشقّات الحياة

Archive of SID

www.SID.ir

و محنها، و لو كان متنعّماً متمكّناً من طيّبات العيش. وترى أُمَيْمَة زوجة الشاعر هذا التغيّر المؤسف فيه الأُمَيْمَةُ هنا رمز لمن أقبلت على نعيم الحياة، و ما لها القدرة على درک صعوبة الموقف و شدّة الكارثة و ما لها العلم بسبب شحوب وجه الشاعر و نحول جسمه و ما لها القوّة على تغوّر فی أعماق نفس البشريّة. و الشاعر يعلن بطلان الحياة و يشبّه العيش بالسراب:

قالَت أُمَيمَةُ ما لِجِسْمِکَ شَاحِبَاً مُنْذُ ابْتُذِلْتَ وَ مِثْلُ مَالِکَ يَنْفَعُ
أمْ مـا لِجَنْبِکَ لايُلائِمُ مَضْجَعَاً إلّا أقَضَّ عَلَيکَ ذاکَ المَضْجَعُ

و هنا يحاول الشاعر أن يجيب زوجته إجابة متلائمة مع فكرها و عاطفتهـا، لأنّ تلـک الآثار خلفتها المأساة بفقد أبنائه، و فقد ابن واحد يثير الأسی و كيف الحال فـی مـن فقـد أبنائه الخمسة أو السبعة الذين ودّعوا هذه الحياة و تركوه وحيداً فی بـراثن الأحـزان التـی تعاوده كلّ أحيان و الدموع الحرىّ الهاطلات على صفحة خدّه التی لا تجری إلا بالفيـضان. و كان هوى الأب أن يقيم الأبناء معه، ولكن ماتوا و سلكوا طريق الموت، و الأب لاحقٌ بهم فی يوم من الأيّام، لأنّ كلّ إنسان سيموت:

فَأجَبْتُهَا أمّـا لِـجِـسْـمِـیَ أنَّـهُ أوْدَى بَنِیَّ مِنَ الـبِـلادِ فَـوَدَّعُـوا
أوْدَى بَنِیَّ وَ أعْـقَـبـونـی غُصَّـةً بَعْدَ الرُّقادِ وَ عَـبْـرَةً لا تُـقْـلِـعُ
سَبَقُوا هَوَیَّ وَ أعْنَقُـوا لِـهَـواهُـمُ فَتُخُرِّمُوا وَ لِكُلِّ جَـنْـبٍ مَصْـرَعُ
فَغَبَرْتُ بَعْدَهُـــمُ بِعَيْـــشٍ نَاصِبٍ وَ إخَـالُ أنّـی لاحِـقٌ مُسْتَتْبَـعُ

و من تحت هذه الآلام الشاعر يرتقی إلى أفكار سامية شاملة التی ينتظـم الـكـون، و يجعل واقعه الخاصّ به مرتبطاً بواقع الناس و الكون، و يعلن بكلّ صراحة أنّ المـوت قـدر محتوم، و أنّه سيدرک الكائن الحیّ بالغاً ما بلغ من القوّة و الحرص و الرفه و أنّ هذه الحقيقة غير متغيّرة. و هذا المفهوم بسموه أعلى من مفاهيم الشعراء الآخريـن. لأنّـه عصـارة مـن التجربيّات الخاصّة التی تسعى إلى التلوّن بصبغة الموضوعيّة.

Archive of SID

www.SID.ir

یتذکّر أبوذؤیب أنّ الإنسان لایستطیع مواجهة الموت إلّا بقدرة نفسه، و أیة قدرة خارجة عن ذاته فتکون قوة فاشلة مغلوبة فی عراک الموت، و لو کانت هذه القوّة الخارجیّة حقیقیّة کقوّة حرص الوالد علی سلامة الأولاد، أو وهمیّة کالتعویذ و الحرز، و یجعل نفسه رمزاً للقوّة الحقیقیّة، و أمیُمَةَ رمزاً للقوة الوهمیّة. قائلاً:

وَ لَقَد حَرِصْتُ بِأنْ أدَافِعَ عَنْهُمُ فَإذَا المَنِیَّةُ أقْبَلَتْ لا تُدْفَعُ
وَإذا المَنِیَّةُ أنْشَبَتْ أظفارَهَا أَلْفَیْتَ کُلَّ تَمِیْمَةٍ لا تَنْفَعُ

و لا تفوت للشاعر فرصة الإشارة إلی مسئولیّة النفس إزاء تملّک القوی الداخلیّة، و الشاعر یستخدم هذه الفرصة لکی یجعل تجربته معرفة عامّة.

تجری الدموع من عیونه مدراراً، و هذه الدموع لیست مظهراً للضعف و الفتور فی کیانه، بل هی مظهر مادیّ من الحزن و الشجی، و هی غیر ما رأتْه أمیمة فی بدایة القصیدة، و الشاعر یکمل حدیثه عن تجربته الشعوریة، و بعد موقف التفجّع و البکاء یتّخذ مباشرة موقفاً صارماً مستحکماً أمام الدهر و نوائبه. قائلاً:

فَالعَیْنُ بَعْدَهُمُ کَأنَّ حِدَاقَهَا سُمِلَتْ بِشَوْکٍ فَهِیَ عُورٌ تَدْمَعُ
حَتَّی کَأنّی لِلْحَوَادِثِ مَرْوَةٌ بِصَفَا المُشَرَّقِ کُلَّ یَوْمٍ تُقْرَعُ
وَ تَجَلُّدِی لِلشَّامِتِیْنَ أُرِیْهِمُ أنّی لِرَیْبِ الدَّهْرِ لا أَتَضَعْضَعُ

لیس هذا الموقف موقفاً صعباً أو شاذّاً بل الشاعر یتّخذه و هو ذکیّ، و سبب إظهار الصبر هو أن أراد الشاعر تذکیر الشامتین صلابة موقفه و قوّة نفسه، لأنَّ الشامت هو من فرح بمصائب الآخرین، و هذا خلق أهل الفتور و الوهن، و غرضه من هذا الأمر أن یلهم الضعفاء أن ینصرفوا إلی مصائبهم و یکتسبوا القوّة اللازمة لمواجهتها، لأنّ هذا الطریق الوحید للسیطرة علیها.

و إثر إظهار هذا الموقف یأتی الشاعر سریعاً بأبیات لها شمیم العبرة و عطر الحکمة لکی یتبیّن لنا أنّ الطریق الوحید للحصول علی الإقتدار البشری هو تحمیل الریاضة علی النفس

Archive of SID

www.SID.ir

و كبت الأميال النفسيّة الجامحة، و بهذا الطريق يمكن الإنسان أن يسيطر على كلّ القوى الإنسانيّة الكامنة فيه و يستخدمها لصالح رشده و هذا أساس للجهاد الأكبر و هو الجهاد مع النفس الأمّارة بالسوء الذى يدعو إليه الإسلام.

وَ النَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذا رَغَّبْتَهَا فَإِذَا تُرَدُّ إِلَى قَلِيْلٍ تَقْنَعُ

و يجعل أبوذؤيب البيت الأخير من القسم الأوّل من المرثية منفذاً ليسلّط من خلاله الضوء على أبعاد القسم الثانى أو القسم التطبيقى للقصيدة، و يقرّر بالبرهان عمليّاً من هذه المشاهد أنّ الجهاد هو طريق السعادة، و أنّ الشهادة هى السبيل لتجاور المحن و الموت.

كَمْ مِنْ جَمِيْعِ الشَمْلِ مُلْتَئِمُ الهَوَى بَاتُوا بِعَيْشٍ ناعِمٍ فَتَصَدَّعُوا

فجميع الشمل يكون متمثّلاً فى الحمار الوحشى مع أتانه، فى المشهدين الأوّل و الثانى العنصر الحيوانى يتمثّل دور البطولة، و فى المشهد الثالث العنصر الإنسانى يستحوذها، تبتدأ هذه المشاهد الثلاث بعبارة: «و الدَّهرُ لا يَبقَى عَلَى حَدَثَانِهِ»، و قد أصبح هذا المصراع المتكرّر فى بدايات المشاهد همزة وصل بحيث أحالت المشاهد المتنوعّة على موضوع واحد:

وَ الدَّهْرُ لا يَبْقَى عَلَى حَدَثَانِهِ جَوْنُ السَّراةِ لَهُ جَدائِدُ أرْبَعُ

مشاهد القصيدة

و نحن هنا لن نحاول أنْ نعيد حكاية المشهدين بتفاصيلهما، لأنّ ذلک يطلب مجالاً واسعاً، و أنّ إعادة سرد الأحداث فى المشاهد سيأخذ الحرارة و الرونق من المشهد، و يفقد من المرثية الإبداع، و من الأفضل الإطلاع على تفاصيل المشهدين من خلال المرثية نفسها و التَّأمّل فى صورها، لأنّ الشاعر بنى قصيدته على إبداع تفاعلت فيها كلّ العناصر الشعرية.

و يتّضح لنا من خلال تفاصيل المشهدين أنّ اهتمام الشاعر يكون على تقديم نموذج لطرق رحلة الإنسان فى الحياة الدنيا. إنّنا إذاما حللّنا بنية المشهدين الحمار الوحشى و الثور الوحشى و لاحظنا العلاقة بينهما فنرى أنّهما يقومان على أطراف متقابلة، تمثّل التقابلات فى أبرز القضايا التى يواجهها الإنسان طوال حياته. و قد تكوّن كلّ مشهد على مجموعة من

Archive of SID

www.SID.ir

الأطراف التی لها ما یقابلها فی المشهد الآخر. ففی المشهد الأول نری بطل المشهد الحمار الوحشی فی شرخ شبابه یعیش مع أتانه ناعم البال و ینعم بنعیم الطبیعة و الحیاة الکریمة فی فصل الربیع و الصیف، و لا تصیبه خلالَ حیاته متاعب کثیرة و له قوّة الهرب من المضیقة و النجاة بنفسه، و هو لائذٌ بالفرار لأنّه ما له القدرة علی المواجهة، و مسرح الأحداث السهول الخصبة، و الغرض من الحرکة فی هذا المشهد الوصول إلی نعیم الحیاة.

المشهد الثانی بطله الثور الوحشی و هو فی سنّ الشیخوخة، مستوحش قلق منفرد یعیش حیاة صبغة و تجفوه الطبیعة، زمن الحدث لیلة إلی الصباح، تتوالی علیه الکوارث، یمتلک قوّة الإقدام و المواجهة، یواجه بعض المشکلات و یسیطر علیها، مسرح الأحداث الأراضی القاحلة، و الحرکة فی المشهد بلا هدف و لا جدوی.

فلا تکون رحلة الإنسان فی حیاته إلا سلسلة من الحلقات المتفرّقة فی المشهدین. و المشهدان یلتقیان فی عدّة نقاط أبرزها: أنّ الحمار الوحشی و الثور الوحشی کان یحسّان و یرقبان نهایتهما علی ید الصیّاد و هو الموت و هذا الإحساس قد کدّر علیهما عیشهما، و أنّ الصیّاد لم یکن ماثلاً أمامَ عیونهما أثناء الصراع، و أنّ کلا البطلین یتجرّعان ببطء غصص الموت، و أنّهما یسقطان علی الأرض و یتعفر جسدهما بالتراب، و یموتان بالذلّة و التعاسة.

إنّ لوحتی الثور الوحشی و الحمار الوحشی لیستا من إبداع الشاعر، بل الموروث الشعری العربی فی الجاهلیة حافل بلوحات متناثرة تکاد تتشابه فی الأسس العامّة لها. ولکن اللوحات تختلف عن لوحة أبی ذؤیب فی التشکیل و التفاصیل الدقیقة. فاعتماد الشاعر علی فنیّة الموروث لا علی المفهوم. فهو ابتدع فی اللوحة بصیاغة مشهد آخر لاستکمال جوانب رؤیته، و المشهد الجدید ینفتح علی أفق جدید کان بطله الإنسان الفارس الدارع محترقاً وجهه بشدّة الحرّ، راکباً فرساً تکاد تقطع رباطها من قوّتها، و قد کان یقبل و یدبر، یفرّ و یکرّ فتصدّی له بطل آخر بفرسه الخفیفة السریعة و توافقا و تخالسا علی الموت:

وَ الدَّهْرُ لا یَبْقَی عَلَی حَدَثَانِهِ مُسْتَشْعِرٌ حَلَقَ الْحَدِیدِ مُقَنَّعُ

ربّما یمکننا التوصل إلی تأویل مناسب إذ استذکرنا أخبار أبی ذؤیب و هو شاعر

Archive of SID

www.SID.ir

مخضرم مسلم مجاهد فی أراضی مصر، عميق الإيمان بالله عزّ و جلّ يبحث عن العمل الصالح دون أن يحفل بمصيره.

رسالة القصيدة

غرض الشاعر من إنشاد هذه القصيدة القول بأنّ الموت محتوم على الإنسان و هو أمر لا مفرّ منه و لاجدوى من الإعتراض و الجزع عليه، و أنّ الجهاد بأنواعه و درجاته هو الوسيلة الوحيدة التی تمنح الإنسان القدرة على هذه المسألة المصيرية و لا شک أنّ هذه المعانی هی معان إسلاميّة بل هی من مبادئ الدين الإسلامی. و هكذا يتبين عرضاً أنّ هذه المرثية إسلاميّة بمضمونها الفكری و العاطفی، غير أنّها بأدائها الفنّی تنتمی إلى البيئة الثقافيّة الجاهليّة.

الوحدة الفنيّة فی القصيدة

الوحدة الفنيّة ليست فی الحقيقة إلّا الوحدة العاطفيّة و نعنی بالوحدة الفنيّة هيمنة إحساس واحد أو لحظة شعورية واحدة، أو رؤية نفسيّة ذات لون محددّ فی العمل الفنّی كلّه، و إنّ الصور الشعريّة بكل أشكالها المجازيّة و بمعناها الجزئی و الكلی هی وسيلة الفنّان لتجسيد هذا الإحساس. (مصطفی عبدالشافی الشورى، ١٩٩٥م: ص١٣٠)

هناک وحدة تسود شعر الرثاء فی العصر الجاهلی، تلک الوحدة يمكننا تسميتها: وحدة الصراع بين الحياة و الموت، أو وحدة الإحساس بوحشة الحياة و قسوتها و بالجزع من فداحة الموت و فظاعته، و بالتالی بالفقد و الحزن و الأسی و اليأس.

فالوحدة الفنيّة تقوم على إساس تنمية الشاعر لأقسام القصيدة تنمية عضوية بحيث ينشأ كلّ جزء من سابقه نشوءاً طبيعاً مقنعاً، و يستدعی الجزء الذی يليه استدعاء حتمياً، حتّی تتكامل أجزاء القصيدة و تشملها عاطفة موحّدة، و تحقّق هذه الوحدة فی القصائد ذات الموضوع الواحد. (محمّد النويهی، ٢٠٠٠ م، ص ٤٣٥)

Archive of SID

www.SID.ir

ففی هذه المرثیة وحدة معنویّة، إنّها وحدة مقنعة متمّمة إتماماً لاشکّ فیه و لا غبار علیه، و أجزاء القصیدة جاءت ملتئمة الأجزاء قد نسقت أحسن التنسیق، و الجمل تتلائم للموسیقی أشدّ التلائم، نحن نجد قصیدة أبی ذؤیب تتمیّز بالوحدة الموضوعیّة التی تکاد تکون دقیقة إلی حدّ لا تکاد نجده فی الشعر الجاهلی.

فهذه القصیدة تتناول فکرة کلیّة عامّة هی فکرة الموت أو مأساة الکائن الحی فی الوجود، و أراد التعبیر عنها من خلال رثاءه لأولاده، کأنّه اتّخذ تلک المناسبة الفادحة مدخلاً یدخل منه إلی فکرته. و نحن إذا قرأنا هذا القسم الأوّل الخاصّ به و بمأساته فإنّنا نجد أبیاته کلّها متتابعة مترابطة تأخذ بعضها برقاب البعض فلا نجد فیها انفصاماً فی التعبیر أو الفکرة، فهو یبدأ المرثیة بالتوجّع علی نفسه علی ما سلب الدّهر من أبنائه و کان من أثر هذا الاستلاب أن غدا جسمه شاحباً و لم یلم بالنوم؛ و هذا ما نجده فی تساؤل زوجه عن سببه فکانت إجابته مباشرة متمثلة فی فقده أبناءه و أثره علی نفسه و حیاته، و هذا الثأثّر دفعه إلی التعبیر عن عجزه فی حمایة أبنائه و مدافعة الموت عنهم، و دفعه ذلک إلی وصف شیءٍ من أحاسیسه و مشاعره و ما نزل به من المصائب، و لکنّه برغم ذلک یتجلّد و یتصبّر حتّی لایشمت به الأعداء.

و إنّ القسم الثانی حلقات فی الفکرة الکلیة و هی شمولیة الموت فی الکائن الحی، فنجده فی قسم الحمار الوحشی یحدث التناسق بین أبیاته فیبدأ بذکر الحمار و أتنه و هنّ فی مرعی خصیب یرعین الجمیم و یتلاعبن لشدة فرحهنّ، ثمّ ورودهنّ ماء عذباً بعد نقصان میاه الروضة حیث یکون الصائد متربّصاً بهنّ، معدّاً سهامه لیصیب منها. و هذه الأبیات کلّها تُصوّر لهو الکائن الحیّ و عبثه فی حیاته، حتی إذا حان حینه لیمضی فی طریق الموت و الفناء غیر مجد کلّ لهوه و تمتّعه.

و أمّا القسم الثانی یختصّ بالثور الوحشی و الصائد و کلابه. و الثور لاینحو من هذا المصیر المحتوم الذی أبوذؤیب کان بصدده، لذا جعل ربّ الکلاب یجرّد سهامه لیرمی بها الثور فیصیبه أحدها فینفذ من ضلوعه فیصرعه لتکون نهایته، و نری بوضوح دقّة الرابطة بین

Archive of SID

www.SID.ir

هذا القسم و الحلقات السابقة فی الفكرة الكلية. و نأتی هنا إلی آخر الحلقات و هی حلقة الفرسان الأبطال المتصارعين فينهی الشاعر الصراع بطعنة يوجّهها كلّ منهما إلی صدر صاحبه يكون فيها إزهاق روحه لتحقّق للشاعر فكرته عن مأساة الكائن الحی فی الوجود، فكهذا مات كلا المتصارعين و تكون المأساة على هذا النحو المتكافیء، و هذا يدلّ علی تفوّق الشاعر فی الحفاظ على الوحدة العضوية على الرغم من أبياتها و أقسامها المتعدّدة، و هذا يدلّ على قدرة أبی ذؤيب و إحساسه العميق بمأساته التی غدت عزاء للإنسان فی الوجود و تعدّ رثاء خاصاً و بكاءً مريراً و ألماً و أسی فتسيل الدموع الغزار فی طوال الأيّام و الليالی.

التصوير فی القصيدة: وفقاً على الموروث الأدبی القديم، الشعراء على وجه عامّ، و شعراء المرثية على وجه خاصّ، حدّثوا فی قصائدهم عن حكايات للحيوان الدور الأساسی فيها. و بهذه الحكايات يمثّل الشاعر بعض الحوادث الهالكة و الأقدار المفاجعة يبدو أنّ التصوير الحيوانی الذی له الدور فی المرثية يكون دائماً على صورة حيوان آمن ناعم الذی يواصل حياته فی سلام و خصب و رفه، و يسعی للرزق و المعاش فإذا الموت يفاجئه من حيث لايحتسبه، و موت هذا الحيوان يصبح منطلقاً للوعظ و العبرة، ثمّ تأتی تفاصيل و وقائع متناسبة التی توقظ الطبيعة المحيطة به كلّها.

الصور الفنيّة ـ البلاغيّة فی القصيدة: و من يلقی نظرة فی المرثية يجدها تكاد تخلو إلّا من أبيات قليلة رسم فيها لوحات مبدعة و هذا يدلّ على عدم تصنّع الشاعر فی خلق اللوحات، و منها قوله:

وَ إِذا المَنِيَّةُ أَنْشَبَت أَظفارَهَا أَلفَيْتَ كُلَّ تَمِيْمَةٍ لا تَنْفَعُ

فقد رسم الشاعر لوحة بديعة للمنيّة حيث جعل لها أظفاراً، و هو هنا يستعير للمنيّة صورة الحيوان الشرس عندما ينشب أظفاره فی فريسته فلا يغادرها حتی يقتلها و يقضی عليها. و هذه الإستعارة تمتاز بالدقّة فی التصوير، فمراده هو أنّ الموت إذا أصاب بالإنسان أو الكائن الحی فإنّه لن يتركه حتّی يهلكه. بالإضافة إلی جعله المنيّة سبعاً ينشب أظافره فی

Archive of SID

www.SID.ir

الفريسة فلايتركها حتى يقتلها، يشير إلى محاولة الناس إنقاذ ذلک الفريسة بالوسائط المختلفة كالتمائم والتعاويذ، ولكن تلفى كلّ تميمة لاتنفع. و لا تخلو الكتب البلاغيّة من هذه الإستعارة لروعتها و جمالها. و هناک صورة أخرى من الصور الموجودة فى المرثية تتعلّق بحالة الشاعر الوجدانيّة و هى قوله:

فَالعَيْنُ بَعْدَهُمُ كَأَنَّ حِدَاقَهَا سُمِلَتْ بِشَوکٍ فَهِىَ عُورٌ تَدْمَعُ

يرسم الشاعر هذه اللوحة لعينه، و هى تسكب الدمع لوفاة أبنائه، و لا تكفّ عن التسكاب. نراه يجعلها قد فقئت بشوک فهى عوراء، و دموعها أبداً تسيل. و نراه قد حرص على توفير كلّ العناصر الجماليّة لإبرازها، فجعل حداق العين قد فقئت بشوک، و لم يكتف بذلک بل صرّح بأنّها أصبحت عوراء، ثمّ أراد أن يعبّر عن جريان الدموع التى لا تنقطع من عينيه نتيجة للشوک الذى فقأهما فأصابهما بالعوار. و لإستيفاء القول نشير إلى لوحة أخرى يرسمها لنفسه، و قد أحاطت به الكوارث و المصائب و هى قوله:

حَتّى إِذَا اِرْتَدَّتْ وَ أَقْصَدَ عُصْبَةً مِنْهَا وَ قَامَ شَرِيْدُهَا يَتَضَرَّعُ

فقد صوّر أبوذؤيب نفسه و المصائب تنزل بساحته كلّ حين بصورة المروة التى تقرعها أقدام الناس عند مرورهم بهذا المكان «المشرّق» و نجد فى رواية أخرى لهذه الكلمة «المشقّر» و هو سوق بالطائف من أشهر أسواق العرب، و معنى هذا أنّه شبه كثرة المصائب التى نزلت به بكثرة مرور الناس على هذه الصخرة سواء أ كانت فى هذا المسجد المعمور أم فى تلک السوق. و يدلّ على معناه الذى أراد من تلک الصورة ما يقال لمن كثرت مصائبه: «قرعت مروته». و جعلها فى مكان معمور ليوكّد كثرة المصائب التى انثالت عليه انثيالاً بفقد أبنائه الخمسة أو السبعة. و هنا تصاوير أخرى فى المرثية كالتصوير الفنّى للحمار و الأتن و الصائد و الكلاب و... لكن نكتفى بهذا القدر من التفصيل فى التصاوير.

الحركة فى صور القصيدة

من العناصر الأساسيّة التى تعطى الصورة الحركة هى استخدام الفعل المضارع، لأنّ المضارع يجدّد الهيئة و الحالة الماضية فى ذهن السامع أو القارىء، استخدام أفعال نحو

Archive of SID

www.SID.ir

(تتوجع، يجزع، ينفع، لايلائم، أخال، أدافع، يقنع، يبكی، لاتسمع و...) و أفعال كثيرة أخـرى و مشتقّاتها تضاعف الحركة و النشاط فی الحركة لإنّ المضارع يفيد الاسـتمرار و امتـداد الزمان فی الحال بحيث يشاركه المخاطب مشاركة مباشرة حيّة. و منح الحيـاة و الحركـة للصورة يزيّنها بميّزات الكائن الحی ممّا يخلق صورة متحرّكة جميلة (فصليّة الـتراث الأدبـی، العدد الثالث، ص۱۴۹). و من عناصر خلق الحركة هی منح الحيـاة و الشخـصيّة الإنـسانيّة للصورة و هذا الأمر يجعلها أقرب إلى ما جرّبه الإنسان من الحركة. تزيين الصورة بميّـزات الكائن الحی، و إعطاء المصير الإنسانی إلى غير الإنسان فيها يخلقان الحركة و النـشاط. و أبوذؤيب فی هذه القصيدة جعل الثور الوحشی و الحمار الوحشی متشاركين مع الإنسان فی المصير المأساوی أو مواجهة الموت.

وَ الدَّهْرُ لايَبْقَی عَلَی حَدَثَانِهِ جُونُ السَّرَاة لَه جَدَائدُ أرْبَعُ
وَ الدَّهْرُ لايَبْقَی عَلَی حَدَثَانِهِ شَبَبٌ أفَزَّتْهُ الْكِلَابُ مـرَوَّعُ
وَ الدَّهْرُ لايَبْقَی عَلَی حَدَثَانِهِ مُسْتَشْعِرٌ حَلَقَ الْحَدِيدِ مُقَنَّعُ

إضافة على استخدام الفعل المضارع و تشريک غير الإنسان مع الإنسان فی الـمـصـيـر، يدعم الحركة الذهنيّة فی الصورة إستخدام الطباق، المقابلة، التشبيه، الإستعارة و استـعـمـال الحروف و الألفاظ فی موضعها. هذه القصيدة قد أنشدت فی البحر العروضی الكامل الـذی يكمن الحركة فی أثناءه، و لا تخلو من المحسنات البديعية كالطباق و المقابلة، و تبدو كـلّ العناصر الإنسانيّة و غير الإنسانيّة فيها حيّة فعّالة نشطة لوجود التشبيهات و الإسـتـعـارات الكثيرة المطابقة لمتقضی الحال.

المحسنات البديعية فی القصيدة

و من الجوانب البلاغيّة الأخرى فی المرثية و إن كانت محدودة جدّاً المحسنات البديعيّة التی جاءت عفو الخاطر كالطباق فی هذا البيت:

Archive of SID

www.SID.ir

فَأَبَدَّهُنَّ حُتُوفَهُنَّ فَهَارِبٌ بِذَمَائِهِ أَوْ بارِكٌ مُتَجَعْجِعُ

فقد طابق الشاعر بين نوعين من الحمير إثر رميها بالسهم، فكان منها ما نجا بنفسه و هرب، و كان منها ما صرع و لقى حتفه على يد الصيّاد، كما فى بيته السابق للذى وصف فيه علاج الحمر الوحشية و لعبها طباق غير متكلّف. و من المحسنّات الأخرى فى القصيدة ردّ العجز على الصدر أو التصدير التى نجدها فى هذا البيت:

يَرْمِي بِعَيْنَيْهِ الْغُيُوبَ وَ طَرْفُهُ مُغْضٍ يُصَدِّقُ طَرْفُهُ مَا يَسْمَعُ

فقد أعاد الشاعر كلمة (طرفه) التى جاءت فى الصدر فى العجز أيضاً و استخدم هذه المحسنة بتكرار بعض مشتقّات الصدر فى العجز، كقوله:

وَ لَقَدْ حَرِصْتُ بِأَنْ أُدَافِعَ عَنْهُمُ فَإِذا المَنِيَّةُ أَقبَلَتْ لا تُدْفَعُ

فقد جاء بكلمتين ترتبطان بأصل اشتقاقى و هما «أدافع و تدفع»، و أورد الإستفهام الإنكارى فى الأبيات الأولى من المرثية، على نحو التالى:

أ مِنَ المَنُونِ وَ رَيْبِها تَتَوَجَّعُ وَ الدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتِبٍ مَنْ يَجْزَعُ

قالَتْ أُمَيْمَةُ ما لِجِسْمِكَ شَاحِباً مُنْذُ ابْتُذِلْتَ وَ مِثْلُ مَالِكَ يَنْفَعُ

أَمْ مَا لِجَنْبِكَ لايُلائِمُ مَضْجَعَاً إِلّا أَقَضَّ عَلَيْكَ ذاكَ المَضْجَعُ

و الغرض من الإستفهام هنا الإنكار، إذ ينكر على نفسه التوجّع من مصائب الدهر و كذلك تُنكر عليه زوجته شحوب جسمه.

الجانب اللغوى فى القصيدة

اللغة هى لباس المفاهيم و عامل التجلّى و الظهور فى المعانى، و هى على حدّ تعبير الاستاذ الدكتور مهدى ممتحن: «قديمة الوجود، و لها وظيفة كبرى فى حياة الإنسان لأنّ المرء يتّخذها وسيلة للتعبير عن أفكاره و إحساساته، و هى ترتبط بالمنّصه الروحية عن طريق التذوّق الجمالى للتراث الأدبى». (فصلية التراث الأدبى. العدد الأوّل، ص۱۳۵)

Archive of SID

www.SID.ir

و اللغات فی الإستعمال قسمان: قسم منها مأنوس قريب، و قسم منها غريب بعيد. و استخدام اللغات السهلة المأنوسة إلى الفهم يعتبر فضلاً لكلّ كاتب أو شاعر، و استعمال اللغات الغريبة يحسب من عيوب فصاحة الكلام و ينزل من شأن اعتلاءه. مرثية أبی ذؤيب هذه تكون على بعد من الكلمات الغريبة الوحشيّة، فلم يظهر حرصه على استخدام الغريب، ولم يتقعّر فی لغته فجاءت ألفاظه سهلة واضحة إلا فی جوانب قليلة من قصيدته كاستخدام بعض اللغات الخاصّة بهذيل فی قوله:

سَبَقُوا هَوَیَّ وَ أَعْنَقُوا لِهَواهُمُ فَتُخُرِّمُوا وَ لِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعُ

فقد استخدم «هَوَیَّ» بدلاً عن هَوَای و هذه لغة هذيل كَعَصَّی فی عَصَای. و جدير بالذكر أنّ مجموعة من اللغات الغريبة مجتمعة فی بعض أبياتها:

أَكَلَ الجَمِيمَ وَ طَلاوَعَتهُ سَمجَحٌ مِثلُ القَنَاةِ و أزعَلَتهُ الأَمرُعُ

فقد جاء بكلمة «الجَمِيم» و تعنی الحشيش، ثمّ جاء بكلمة «سَمحَج» و تعنی الظهر الطويل للأتان، ثمّ كانت «أزعَلَته» بمعنی أنشطته للرعی، و أخيراً استخدم كلمة «الأمرُع» و هی جمع مريع أو مرع بسكون الراء و فتحها و هو المكان الخصيب، و قد حشد مجموعة من الألفاظ البعيدة المعنی عن الذهن فی قوله:

فَوَرَدْنَ وَ العَيُّوقُ مَقْعَدَ رَابِیءِ الضُّـ ـرَبَاءِ فَوْقَ النَّظْمِ لا يَتَتَلَّعُ

فقد اجتمعت مجموعة من الألفاظ الغريبة التی تستوقف القارىء للبحث عن معانيها «كالضُّرَبَاء»: الذين يضربون قداح الميسر، «الرَّابیء»: الذی يجمع سهام الميسر، «النَّظم»: الجَوزَاء، «يَتَتَلَّعُ»: يَتَقَدَّمُ. و هنا حشد من الألفاظ غير المأنوسة فی:

فَنَكِرْنَهُ فَنَفَرْنَ وَ امْتَرَسَتْ بِهِ سَطْعَاءُ هَادِيَةٌ وَ هَادٍ جُرْشُعُ

«فَامْتَرَسَتْ بِهِ» أی اقتربت به، «سطعاء» أی طويلة العنق، «الهادية» أی المتقدمـة، و «هادٍ جُرْشُعُ»: أی منتفخ الجنبين متقدّم يسابق الأتان.

Archive of SID

www.SID.ir

الجانب الموسیقی للقصیدة

استخدم الشاعر الموسیقی التقلیدیة المتمثّلة فی الوزن و القافیة، و لم یحاول إثراءها بمختلف المحسّنات البدیعیة التی تضفی علی موسیقی القصیدة موسیقی أخری تزیدها جمالاً و تنویعاً بما تحدثه من فواصل موسیقیّة داخلیّة علی نحو ما رأینا عند طرفة بن العبد و الشنفری؛ و یبدو أنّ الشاعر کان مشغولاً عن محاولة إثراء موسیقاه بمعاناة مأساته و مقاساة أحزانه، فاقتصر علی موسیقی وزن الکامل، فموسیقاه جاءت هادئة عمیقة لأنّ حزنه یکون هادئاً حزیناً.

عیوب القصیدة

هذه القصیدة علی جمالها و محسانها و شهرتها لاتخلو من معایب، و عنوان هذه الدراسة یتطلّب منّا الإشارة إلی هناتها لتقدیم نقد عادل منصف، و نحن هنا نشیر إلی زلّات الشاعر، من هذه المساوئ الفساد فی المعنی الذی یعبّر عنه، و من ذلک ما عیب علیه فی وصفه الخیل فی البیت التالی:

قَصَرَ الصَّبُوحَ لَهَا فَشَرَّجَ لَحْمَهَا بِالنَّیِّ فَهِیَ تَثُوخُ فِیهَا الإِصْبَعُ

فقد أراد الشاعر وصف عنایة صاحب الفرس بها، و قیامه علی تغذیتها لکرامتها علیه حتّی کثر شحمها و لحمها، بحیث لو أدخلت فیه أصبع لدخلت، و هنا یعیب علیه الأصمعی سوء وصفه و فساد معناه فقال: و هذا من أخبث ما نعتت به الخیل لأنّ هذه لو عدت ساعة لانقطعت لکثرة شحمها و انّما توصف الخیل بصلابة اللّحم، و أبوذؤیب لم یکن صاحب خیل (المفضّل الضبّی، ۱۹۲۰م، ص۸۷۹) و منه قوله فی وصفها:

تَأْبَی بِدُرَّتِهَا إِذَا مَا اسْتُغْضِبَتْ إِلّا الْحَمِیْمَ فَإِنَّهُ یَتَبَضَّعُ

و هنا أراد تصویر سرعتها فما فاز بالتوفیق، لأنّ الجواد إذا حرکته للعدو أعطاک ما عنده، فإذا ما حملته علی أکثر من ذلک بساق أو بسوط حملته عزّة نفسه علی ترک العدو و أخذ فی المرح، و هنا یتصدّی له الأصمعی مرّة أخری قائلاً: «هذا ممّا لا توصف به الخیل و

Archive of SID

www.SID.ir

قد أساء»، و قد برّر الأصمعی ذلک بأنّه لم يكن صاحب خيل فيجيد أوصافها. و هناک بيت آخر منه فيه الإساءة المعنوية:

وَ عَلَيْهِمَا مَسْرُوْدَتانِ قَضَاهُمَا دَاوودٌ أَوْ صَنَعُ السَّوابِغِ تُبَّعُ

فقد أشار أبوذؤيب إلى أنّ تبّعاً هو الذی صنع الدروع لأنّها منسوبة إليه فيقال: «الدروع التبعيّة»، فهناک كشف إفساده للمعنى قائلاً: كان تبّع أعظم شأناً من أن يصنع شيئاً بيده، و إنّما عملت فی ملكه بأمره. (المصدر السابق)

و من المعايب الأخرى التی نجده فی القصيدة الحشو فی أبيات محدودة منها، فقد استخدم ضمير الفصل بعد ضمير الوصل فی البيتين أحدهما قوله:

وَ كَأَنَّما هُوَ مِدْوَسٌ مُتَقَلِّبٌ فِی الْكَفِّ إِلّا أَنَّهُ هُوَ أَضْلَعُ
فَكَبَا كَمَا يَكْبُو فَنِيْقٌ تَارِزٌ بِالْخَبْتِ إِلّا أَنَّهُ هُوَ أَبْرَعُ

فضمير الفصل «هو» بعد ضمير الوصل فی «أنّه»، و هذا الاستخدام لضرورة الحفاظ على الوزن و إكمال البيت لا للتأكيد أو غرض بلاغی آخر، و لايأثر على المعنى، و الفتور واضح فی البيتين بسبب الإتيان بضمير الفصل هذا.

الإستنتاج

إنّ غاية التی أرادها الشاعر من إنشاء هذه القصيدة الرائعة هی القول بأنّ الموت محتوم و مقدور على البشرية، و هو أمر واقع لا مفرّ لهُ و لا مناص، و البكاء و التفجّع لاينفعان فی دفعه، و إنّما الطريق الوحيد لإجتياز هذه العقبة الصعبة هی الجهاد و الموت الكريم بكلّ أنواع مراتبه، و لا ريب أنّ هذه المعانی الساميّة المتعالية الكامنة فی القصيدة مستقاة من الفكرة الإسلاميّة الراسخة الرصينة، و لو كان ترجع القصيدة فی أدائها الفنّی إلى الأدب الجاهلی. على كلّ تقدير هذه القصيدة فريدة فی نوعها فی الموروث الشعری العربی، و مختلفة فی جوهرها و ذاتها مع كلّ قصيدة تناولت صراع الثور الوحشی أو صوّرت مشهد الحمار الوحشی فی الأدب العربی الغنّی المبين.

Archive of SID

www.SID.ir

و قیمة هذه القصیدة النادرة بأنّها تکون متفرّدة فی الشعر الجاهلی و الإسلامی، منقطعة المثیل فی علو الفکرة، و فی القدرة علی التعبیر عن مأساة الکائن الحیّ بقسیمیه الإنسان و الحیوان، و تصویر أبعادها. و الخروج من إطار الرثاء الفردی المحدود إلی الرثاء الإنسانی الشامل فکرة لانجدها عند غیر أبی ذؤیب و إنّ تأمّلاته فی مأساة موت الإنسان جامعة. و هذه القصیدة مرثیة تبقی علی جدران الدهور، و علی کلّ لسان و هی تبکی لکلّ إنسان. نرجو أنْ تکون الدراسة هذه وافیة بالکشف عن خبایا من جمال إحدی عیون المراثی المتفرّدة فی الشعر العربی.

فهرس المصادر

القرآن الکریم

ابن منظور المصری، جمال الدین محمد بن مکرم. ۲۰۰۰م، ''لسان العرب''، الطبعة الأولی. لبنان. بیروت: دار و مکتبة الهلال.

ابن میمون، محمد بن مبارک. ۱۹۹۹م، ''منتهی الطلب من أشعار العرب''، بتحقیق: محمد نبیل الطریفی. الطبعة الأولی. لبنان. بیروت: دار صادر.

ابوذیاب، خلیل. ۲۰۰۰م، ''دراسة و تحلیل فی أدب صدر الإسلام''، الطبعة الأولی. عمّان: دار عمّار.

الأصفهانی، أبوالفرج. ۱۹۹۵م، ''الأغانی''، بتحقیق: د.قصی الحسین. الطبعة الأولی. بیروت: دار و مکتبة الهلال.

بدوی، أنیس؛ طمّاس، حمدو. ۱۴۳۰ هـ.ق، ''روائع الشعر الإسلامی. الطبعة الثانیة''، لبنان. بیروت: دارالمعرفة.

بشیر النعمة، مقبول علی. ۱۹۹۷م، ''المراثی الشعریة فی صدر الإسلام''، الطبعة الأولی. بیروت: دار صادر.

الثعالبی، ابومنصور. ۲۰۰۶م، ''المنتخب فی محاسن أشعار العرب''، بتحقیق عادل سلیمان جمال. الطبعة الثانیة. مصر. قاهرة: مکتبة الخانجی.

الخطیب التبریزی، یحیی ابن علی. ۱۴۲۳هـ.ق، ''شرح إختیارات المفضّل الضبّی''، بتحقیق: د. فخرالدّین قباوة. الطبعة الثالثة. لبنان. بیروت: دار الفکر المعاصر.

الخطیب، بشری محمّد علی. ۱۹۹۹م، ''الرّثاء فی الشعر الجاهلی و صدر الإسلام''، الطبعة الأولی. العراق. بغداد: جامعة بغداد.

سالم، عبدالرّشید عبدالعزیز. ۱۹۹۰م، ''شعر الرّثاء العربی و استنهاض الهمم''، الطبعة الأولی. الکویت: وکالة المطبوعات.

Archive of SID

www.SID.ir

الشوری، مصطفی عبدالشافی. ۱۹۹۵م، ''شعر الرثاء فی العصر الجاهلی''، الطبعة الأولی. لبنان. بیروت: مکتبة لبنان ناشرون.

الضبّیّ، المفضّل بن محمّد. ۱۹۲۰م، ''دیوان المفضلیّات''، بشرح: محمد بن القاسم بن محمد الأنباری. الطبعة الأولی. لبنان. بیروت: مطبعة آکسفورد.

ضیف، شوقی. ۲۰۰۰م، ''الرثاء''، الطبعة الرابعة. مصر. القاهرة: دارالمعارف.

الفاخوری، حنّا. ۱۴۲۷ه.ق، ''الجامع فی تاریخ الأدب العربی''، الأدب القدیم. الطبعة الثالثة. ایران. قم: منشورات ذوی القربی.

القرشی، أبوزید محمّد أبی الخطّاب. ۱۹۹۹م، ''جمهرة أشعار العرب فی الجاهیلة و الإسلام''، بتحقیق: محمد علی الهاشمی. الطبعة الثالثة. السوریة. دمشق: دارالقلم.

میلاد، محمود محمد. ۲۰۰۴م، ''رؤیة نفسیة لروائع مختارة من الشعر العربی''، الطبعة الأولی. عمّان: دارعمّار.

المجلات

فصلیة التراث الأدبی، ۱۳۸۷ ه .ش، السنة الأولی. العدد الأول، ایران: جامعة جیرفت آزاد الإسلامیة. مقالة عنوانها: «اللغة فکر و ثقافة و أدب»، کاتبُها: الدکتور مهدی ممتحن.

فصلیة التراث الأدبی، ۱۳۸۸ ه .ش، السنة الأولی، العدد الثالث. ایران: جامعة جیرفت آزاد الإسلامیة، مقالة عنوانها: «الحرکة فی الصورة الشعریة»، کاتبُها: حسن شوندی.

Archive of SID

www.SID.ir